



دار آريثريا للنشر والتوزيع
Arriyria for Publishing and Distribution

مجلة القلزم

لدراسات التوثيقية



ISSN: 1858 - 9790

في هذا العدد :

- في حضرة عالم..(إحالات علي هامش سيرة الميلاد)
د. عوض شبا
- (سيرة النهر النوبي) البروفسير علي عثمان محمد صالح عالم
ومفكر الآثار السوداني
د. جعفر محمد مصطفى أبوزيد
- بروفيسور علي عثمان محمد صالح رائد علم الآثار الوطني في السودان
د. محمد البدري سليمان بشير
- إضاءة على كتابات البروفيسور علي عثمان محمد صالح
العلمية المنشورة
د. رحاب شنبول مصعب مساعد
- العلامة علي عثمان محمد صالح: صوفي في محراب الآثار السودانية
أ. إبراهيم الدلال
- حديث الذكريات عن عالم الآثار السوداني البروفيسور علي عثمان
محمد صالح.
أ.د عبد الرحيم محمد خير



العدد الثامن - ذو القعدة 1443 هـ - يونيو 2022م

مجلة القلزم العلمية لدراسات التوثيقية دورية دولية محكمة - العدد الثامن - ذو القعدة 1443 هـ - يونيو 2022م



دار آريثريا للنشر والتوزيع
Arriyria for Publishing and Distribution

ردمك ISSN: 1858 -9790

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية-السودان
مجلة القلزم: Al QulzumScientific DocumentaryJournal
الخرطوم : مركز دول حوض البحر الأحمر 2022
تصدر عن دار آريشيريا للنشر والتوزيع السودان
ردمك: 1858-9790 الخرطوم- السودان

مجلة القلزم للدراسات التوثيقية

الهيئة العلمية والاستشارية

- أ.د. بركات موسى الحواقي - جامعة بحري - السودان .
أ.د. عز الدين عمر موسى - مركز العز بن عبد السلام - السودان.
أ.د. دلال بنت محمد سليمان السعيد - جامعة جدة - المملكة العربية السعودية.
أ.د. كمال محمد جاهد الله الخضر - جامعة إفريقيا العالمية - السودان.
أ.د. إيمان علي مهران عثمان - المعهد العالي للفنون الشعبية - جمهورية مصر العربية.
د. صديق عمر الصديق - جامعة الخرطوم - السودان.
د. عبد الباقي يونس إسماعيل - جامعة النيلين - السودان .
د. أبو القاسم السنوسي قنه محمد - مركز دراسات الصحراء - ليبيا.
د. فتح العليم عبد الله محمد - جامعة أم درمان الأهلية - السودان.
د. محمد الفاتح أحمد - جامعة براندنبورج - ألمانيا.
د. عفاف عبد الحافظ عبد الحفيظ محمد رحمه - جامعة الخرطوم - السودان.
د. نزار محمد غانم - جامعة الأحفاد للبنات - اليمن.
د. هالة أبايزيد بسلطان - جامعة أم درمان الأهلية - السودان.
د. جعفر علي فضل إبراهيم - جامعة نيالا - السودان.
د. سليمان محمد سليمان - مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان.
د. محمد أحمد محمد عبد العزيز - جامعة الفاشر - السودان .
د. صلاح محمد إبراهيم أحمد - جامعة النيل الأبيض - السودان.
د. إبراهيم عبد اللطيف عبد المطلب - جامعة كسلا - السودان.
د. لمياء دفع الله مصطفى - مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان

رئيس هيئة التحرير

أ.د. حاتم الصديق محمد أحمد

رئيس التحرير

أ. عوض أحمد حسين شبا

سكرتير التحرير

أ. خالد بابكر محمد إبراهيم

التدقيق اللغوي

أ. الفاتح يحيى محمد عبد القادر (السودان)

الإشراف الإلكتروني

د. محمد المأمون

التصميم والإخراج الفني

أ. عادل محمد عبد القادر (السودان)

الآراء والأفكار التي تنشر في المجلة تحمل وجهة نظر كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن آراء المركز

ترسل الأوراق العلمية عبر العنوان التالي

هاتف: +249121566207 - +249910785855

بريد إلكتروني : rsbcsc@gmail.com

السودان - الخرطوم - السوق العربي عمارة جي تاون الطابق الثالث

موجهات النشر

تعريف المجلة:

مجلة (الْقُلْزَم) للدراسات التوثيقية مجلة علمية دولية مُحَكِّمة تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر- السودان بالشراكة مع دار أثريريا للنشر والتوزيع- السودان. تهتم المجلة بالبحوث والدراسات التوثيقية والمواضيع ذات الصلة.

موجهات المجلة:

1. يجب أن يتسم البحث بالجودة والأصالة وألا يكون قد سبق نشره قبل ذلك.
 2. على الباحث أن يقدم بحثه من نسختين. وأن يكون بخط (Traditional Arabic) بحجم 14 على أن تكون الجداول مرقمة وفي نهاية البحث وقبل المراجع على أن يشارك إلى رقم الجدول بين قوسين دائريين (.)
 3. يجب ترقيم جميع الصفحات تسلسلياً بالأرقام العربية بما في ذلك الجداول والأشكال التي تلحق بالبحث.
 4. المصادر والمراجع الحديثة يستخدم أسم المؤلف، اسم الكتاب، رقم الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع، رقم الصفحة.
 5. المصادر الأجنبية يستخدم اسم العائلة (Hill, R).
 6. يجب ألا يزيد البحث عن 30 صفحة وبالإمكان كتابته باللغة العربية أو الإنجليزية.
 7. يجب أن يكون هناك مستخلص لكل بحث باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد على 200 كلمة بالنسبة للغة الإنجليزية. أما بالنسبة للغة العربية فيجب أن يكون المستخلص وافياً للبحث بما في ذلك طريقة البحث والنتائج والاستنتاجات مما يساعد القارئ العربي على استيعاب موضوع البحث وبما لا يزيد عن 300 كلمة.
 8. لا تلزم هيئة تحرير المجلة بإعادة الأوراق التي لم يتم قبولها للنشر.
 9. على الباحث إرفاق عنوانه كاملاً مع الورقة المقدمة (الاسم رباعي، مكان العمل، الهاتف البريد الإلكتروني).
- نأمل قراءة شروط النشر قبل الشروع في إعداد الورقة العلمية.



كلمة التحرير

نحمد الله تعالى حمدا طيبا مباركا فيه، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد

القارئ الكريم:

فى إطار خطة مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر فى تفعيل وتنشيط البحث والنشر العلمى، وذلك بتسهيل وتوسيع مواعين النشر الرصين، رأت وحدة البحوث والنشر بالمركز بعد التشاور مع الهيئتين العلمىة والاستشارىة إصدار مجلة علمىة جديدة تضاف لسلسلة مجلات القلزم العلمىة الدولىة المحكّمة المتخصصة، تعنى بالتوثيق للشخصيات الرائدة والرموز فى مختلف المجالات العلمىة، الاجتماعىة والاقتصادىة، السياسىة، الفنىة، والرياضىة وغيرها، فى السودان ودول حوض البحر الأحمر والعالم؛ وكذلك التوثيق للمؤسسات البارزة التى أسهمت فى الحياة الاجتماعىة والثقافىة والاقتصادىة الخ...

تعتبر مجلة القلزم العلمىة للدراسات التوثيقىة من المجالات المتخصصة المتفردة، ولعلها الأولى فى السودان والوطن العربى، التى اهتمت بهذا الجانب، وانتهجت فى طرىقة تحريرها نهجاً جديداً يعتمد على تكوين مجموعات بحثىة ذات صلة ومعرفة بموضوع العدد، تحت إشراف أحد العلماء فى المجال المعنى.

القارئ الكريم:

هذا العدد هو الثامن من مجلة القلزم العلمىة للدراسات التوثيقىة يخرج إليكم فى ثوب قشيب تحت إشراف الأستاذ الدكتور/ حاتم الصديق محمد أحمد للتوثيق للعلامة البروفسور الآثاري /علي عثمان محمد صالح أحد الرموز السودانىة والعربىة والعالمىة فى مجال علم الآثار، يتناول هذا العدد سيرة من حياته العلمىة والعملىة.

نسأل الله تعالى التوفيق والسداد للجميع؛،،،

هئية التحرير



مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر

(نحو شراكة إقليمية مستقبلية مستدامة)

مجلات القلزم

نحو شراكة إقليمية مستقبلية واحد

مجلات القلزم مجموعة مجلات علمية دولية محكمة ذات ترقيم دولي

تصدر عن . مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان

بالشراكة مع عدد من الجامعات والكليات والمراكز البحثية داخل السودان وخارجه وهي



مجلة القلزم العلمية الشاملة
تصدر بالشراكة مع كلية المنهل للعلوم - السودان



1



مجلة القلزم للدراسات التاريخية والحضارية
تصدر بالشراكة مع الاتحاد الدولي للمؤرخين - الدمارك



2



مجلة القلزم للدراسات البيئية والجغرافية
تصدر بالشراكة مع جامعة سنار - السودان



3



مجلة القلزم للدراسات السياسية والقانونية
تصدر بالشراكة مع جامعة البليدة - الجزائر



4



مجلة القلزم للدراسات الأمنية والاستراتيجية
تصدر بالشراكة مع جامعة سليمان الدولية - تركيا



5



مجلة القلزم التربوية واللغوية والنفسية
تصدر بالشراكة مع جامعة بخت الرضا - السودان



6



مجلة القلزم للدراسات الإعلامية
تصدر بالشراكة مع أم درمان الأهلية - السودان



7



مجلة القلزم للدراسات الإسلامية
تصدر بالشراكة مع جامعة كسلا - السودان



8



مجلة القلزم للدراسات الأثرية والسياحية
تصدر بالشراكة مع جامعة شادي - السودان



9



مجلة القلزم للدراسات الاقتصادية والاجتماعية
تصدر بالشراكة مع جامعة الحضارة - اليمن



10



مجلة القلزم العلمية للدراسات التوثيقية
تصدر بالشراكة مع دار آرثيريا - السودان



11

دار آرثيريا للنشر والتوزيع
Arthira Publishing and Distribution

+249910785855 - +249156126207 www.rsbcrcs.net rsbcrcs@gmail.com

المحتويات

في حضرة عالم..(إحالات علي هامش سيرة الميلاذ).....(26-9)

د. عوض شبا

(سيرة النهر النوبي)البروفسور علي عثمان محمد صالح عالم ومفكر الآثار السوداني.....(32-27)

د. جعفر محمد مصطفى أبوزيد

بروفسور علي عثمان محمد صالح رائد علم الآثار الوطني في السودان.....(60-33)

د. محمد البدري سليمان بشير

إضاءة على كتابات البروفسور علي عثمان محمد صالح العلمية المنشورة.....(80-61)

د. رحاب شنبول مصعب مساعد

العلامة علي عثمان محمد صالح: صوفي في محراب الآثار السودانية.....(86-81)

أ. إبراهيم الدلال

حديث الذكريات عن عالم الآثار السوداني البروفسور علي عثمان محمد صالح.....(92-87)

أ.د عبد الرحيم محمد خير



في حضرة عالم.. (إحالات علي هامش سيرة الميلاد)

مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر – السودان

د. عوض شبا

المستخلص:

هذه الورقة تحاول أن تلقي بعض الضوء على أثر بيئة النشأة والميلاد في ملامح سيرة عالم الآثار السوداني المرموق البروفسير / علي عثمان محمد صالح وفي توجهاته العلمية والفكرية وذلك باستخدام المنهج التاريخي التحليلي في الدراسة؛ وكذلك وضحت الورقة أهمية الإستفادة من عنصر الإحتكاك والمعايشة في كتابة وتوثيق سيرة الأعلام في حياتهم لأنها قابلة للتدقيق والمراجعة من أصحابها مما يجعلها اقرب للواقع والحقيقة.

Abstract:

This paper attempts to shed some light on the impact of the environment of origin and birth in the features of the biography of the distinguished Sudanese archaeologist Professor / Ali Osman Muhammad Salih and his scientific and intellectual orientations, using the historical-analytical method in the study; The paper also clarified the importance of benefiting from the element of friction and coexistence in writing and documenting the biography of the media in their lives, because it is subject to scrutiny and revision, making it closer to reality and the truth.

مقدمة:

هذه الورقة ربما لا تكون ورقة علمية مستوفية لكل الشروط المطلوبة، وفق ما هو معمول به في الأوساط الأكاديمية ومتعارف عليه من معايير وضوابط منهجية صارمة، وكذلك ليست دراسة متكاملة عن شخصية معروفة في الأوساط العلمية تتناول سيرته ومسيرته وإنما هي في جوهرها - كما ورد

في العنوان- إضاءات أولية لأثر مكان الميلاد والنشأة في تكوين وتوجيه ملامح شخصية عظيمة لم تقف عند حقل تخصصه وهو علم الآثار وإنما تعدى ذلك إلي التاريخ والتصوف والسياسة وغيرها. تناولناها من وحي المعاشرة والإحتكاك به ، أو قل هي إنطباعات شخصية ومشاهدات رسخت في ذهن الكاتب وتكونت من خلالها.

من جانب آخر تحاول الورقة أن تكتسب الصبغة العلمية في أسلوبها التوثيقي لإعتمادها على رؤية منهجية واضحة تركز على الدور الأساسي لبيئة الميلاد والنشأة في تكوين الشخصية مثلت جانبا مهما من إهتمامات ودراسات الكاتب في الفترة الأخيرة⁽¹⁾ ، ولعل في هذه الدراسة ميزة مصدرية لم تتوفر لغيرها من الدراسات وهو معاشرة الكاتب للشخصية قد تمكنه من تقديم نظرة موضوعية عن الشخصية لأن معظم الدراسات عن الشخصيات تمت لشخصيات برزت دورها بعد وفاتها لأسباب أيولوجية وغيرها .

إن أهمية هذه الدراسة تكمن في إرتكازه على فرضية قابلة للنقاش تقول بأن للبيئة ومكان النشأة دور أساس في تكوين ملامح الشخصية وأن المنتج العلمي والفكري لشخصية الدراسة لا يمكن دراسته بصورة منفصلة عن السمات الأساسية لشخصيته ، وكذلك من عناصر أهمية هذه الورقة- كما وضحت- أنها كتبت تحت سمع وبصر الشخصية وأن عطاءه مازال مستمرا. ولمعالجة موضوع هذه الورقة بصورة مرضية رغم إيجازها تم تقسيمها للمحاور الآتية:

- مقدمة .
- مشكلا.. الميلاد والنشأة.
- المزاج النوبي في شخصيته.
- ملاحظات أولية لسيرته العلمية والفكرية.
- الخاتمة .
- لمصادر والمراجع.
- الملاحق.

مشكلا ٠٠ الميلاد والنشأة:

من الضروري عند دراسة أي شخصية الوقوف على ظروف الميلاد والعوامل الاجتماعية والبيئية التي نشأ فيها ، لأن للسنوات الأولى في حياة الطفل

دور اساسي في تشكيل سمات شخصيته وتكوين سلوكه واتجاهاته الإجتماعية التي تبقي ثابتة خلال حياته وتلازمه دوماً ، وقد تكتسب بعض السمات أخرى نتيجة تفاعلها مع بعض المجتمعات والبيئات الأخرى والجديدة (3) لذا سوف نلقي بعض الضوء علي مكان ميلاد ونشأة العلامة علي عثمان محمد صالح كنقطة إنطلاقة محورية في هذه الورقة الموجزة.

تقول السيرة الذاتية للبروفسير/ علي عثمان محمد صالح -كما رواها لي - أنه ولد بمشكيلا عام 1946م وتربي في ربوعها وارتبط بها وتأثر بها واثرت عليه .وأصوله من أسرية محسية من مشكيلا تداخلت مع أسرة دنقلاوية تنتمي لمنطقة السير بأرقو حيث ان والدة أبيه عثمان من هناك وكانت هي الرابطة التي جمعت به زوجته نعيمة إدريس خيرى عام 1974م وأنجب منها ابنته ألاًراً وابنه أحمد وكان زواجه بمدينة الخرطوم مكان إستقرار زوجته ونسأبته وأقام بها بعد زواجه ولكنه أقام كل مراسم عرسه الأولي بمشكيلا كما تقتضيها العادات والتقاليد النوبية ثم أكملها بالخرطوم (4).

كانت قرية مشكيلا في منطقة المحس النوبية بشمال السودان هي مكان الميلاد والنشأة .ومشكيلا أو مشكلية كما تم تعريفه في موقع ويكيبيديا «... اسم مركب من «مشة» وتعني الشمس و«كيلة» وتعني النهاية. وبحسب الأساطير القديمة معناها «نهاية الشمس» أو «حد الشمس» أو «آخر الشمس» . و يذكر البروفسير علي عثمان محمد صالح عالم الآثار النوبي و ابن القرية معني آخر للاسم هو أيضا مركب من كلمتين ميثي بمعني كبير أو ضخم (راجع اجزاء الساقية) و كول بمعني حفير . اي الحفير الكبير. وقد نشر ذلك في مجلة مشكنور.

تقع قرية مشكيلا في شمال السودان على بعد حوالى 600 كيلومتر شمال الخرطوم وعلى بعد حوالى 90 كيلومتر شمال مدينة دنقلا، على الضفة الشرقية لنهر النيل وعلى بعد كيلومترات قليلة من الشلال الثالث للنيل (كجبار وهي بأرض المحس محافظة وادي حلفا على ضفاف نهر النيل عند منحنى النهر شرق- غرب تحدها شرقا قرية فريق و غربا قرية نوري و شمالا بالضفة الاخرى للنيل قرية دفوي.

تتكون القرية من العديد من الاحياء تصطف بمحاذاة النيل من الغرب الي الشرق هي: كسبته، فقيركي، خشابكي، تبدنكي، حاجنكي، ادولكي، فركي، مشكيلا وسط، نصركي، همبون، ارمد، حسنكي، كولوسود.

توجد سلسلة جبلية بمحاذاة القرية، ولذا سميت بأرض الحجر. التعداد السكاني حوالى 2000 نسمة. ولكن يقدر عدد اهلها باكثر من ذلك بكثير ولكن اغلبهم يعملون في العاصمة أو دول المهجر و يعودون في الاجازات كما هو الحال في كل القرى النوبية الاخرى، وهي أكبر قري المحس و اكثرها اكتظاظا بالسكان.

تحتوي القرية علي العديد من المواقع الاثرية من حقبة تاريخية مختلفة و توجد العديد من الحصون الحجرية و الطينية و بعض القباب الإسلامية في مقابرها. يوجد بالقرية مدرستان للاساس واحدة للبنين و اخري للبنات و مستوصف و نادي اجتماعي و مشروع زراعي تعاوني. تمتاز بنخيلها و خصب اراضيها رغم ضيقها الشديد. كما يرسم النيل شريطا من الجمال و الخضرة وسط الصحراء الشاسعة .

ينتشر أبناء القرية الان في الخرطوم و اماكن كثيرة في السودان كما ينتشرون في الكثير من بلدان العالم خصوصا في المملكة العربية السعودية و الولايات المتحدة الأمريكية و كندا⁽⁵⁾. وعودا على بدء وحتى نستكمل جوانب التعريف بأسرة على عثمان وبعض تفاصيل نشأته وتعليمه نستعين ببعض ما خطه قلم شيخ الدين مختار عن هذا الموضوع: «وُلد على عثمان محمد صالح بالمحس في قرية مشكيلة، وتحديدًا في حلة (حاجينكى) ، والدته هي فاطمة أمين آدم حاج. أما زوجته نعيمة إدريس خيرى ، فهي صاحبة الفضل الكبير بعد الله في تشكيل العالم الخاص ليكون على عثمان عالمًا ، فبعد زواجهما أراد الله أن يؤخر لهما وهبة الذرية ، فصبرا صبرًا جميلًا ، ولكن أهله استعجلوه ذات مرة ، فكان أن غضب غضبة مضرية ؛ وقال:» هي التى تهينى لى حياتى العلمية ، ودونها يهون كل شئ «؛ إدريس خيرى والد نعيمة هو شقيق ستنا خيرى والدة عثمان محمد صالح وإخوته ، وتعود أصولها إلى قرية السير بأرقو من حيث الموطن ، وقد استقر بهم المقام في الخرطوم حيث كان النقل النهري .

أعمامه أربعة وهم مزارعون و عمال و تجار ، وجدهم شريف حاج زوج (مياسة أدول) ، وأدول هذا ، صاحب حلة ، وقبة ، وصاحب شأن في عالم الروحانيات.

في النصف الأول من أربعينيات القرن العشرين لم تكن هناك وسائل للحياة غير تلك السواقي التى كانت تنوح من بزوغ الفجر إلى مغيب الشمس ، وصراع دائم لإستزراع الأرض بالطورية والمنجل .

أول مدخل للطفل على في عالم (أقرأ) كان خلوة خاله فقير عبدالله خيرى في (همبون) مسقط رأس جدته كوشيه ، وعبدالله خيرى هو الأخ الأكبر لفاطمة أمين والدة على عثمان ، وأخ يعقوب أمين خاله ؛ وثلاثتهم أولاد كوشيه فضل . وكان للطفل على نصيب في خلوة أوشى وهي الخلوة التى تلت خلوة همبون . تجاور مشكيلة منطقة نوري وكان بها مملكة، وفي نوري هذه قبة شيخ إنحدر من صلبه أربعة أولاد وبنت واحدة ، يرجع إليهم أغلب نسب مشكيلة ، وهذه القبة شهدت أفراح ختان على عثمان واولاد المنطقة

نشأ الطفل على عثمان في هذه القرية :

وكان محظوظا حيث وجد رعاية خاصة جدًا من والده عثمان ومن أقربائه حامد محمد صالح وصالح وأبوبكر وأحمد وكان محل حفاوة من أهل الحي وكان الساعد الأيمن للحاج حامد في إدارة دكانه وشئون العائلة وكان كاتب الرسائل وحافظ الأسرار ومن دون أولاد (حاجينكي) كان الأوفر حظا وقبولاً وللأمانة كل أهل مشكيلة كانوا يحتفلون بقدومه وسفره ، في زمن

قليل من حظي بالتعليم ، فالرھط الأول تعلم في خلوة جزيرة مقاصر وخلوة أوشى بفريق ثم خلوة الشيخ تاج الختم بفريق ، ثم بخلوة أوشى في مشكيلة ونفر لا يتجاوز عددهم العشرة في الأزهر الشريف بمصر .

درس على عثمان المدرسة الأولية في فريق القرية المجاورة لقريته ، في بدايات الخمسينات ، ووقتها كانت مناطق المحس على إتساعها وكثافة سكانها لم تنشأ فيها إلا مدرستي دلقو ، وفريق ، وتلقى تعليمه الأوسط في مدرسة دلقو الوسطى ، وأيضاً كانت هي المدرسة الوسطى الوحيدة في المحس . كان لحدودية عدد التلاميذ الذين يتم قبولهم من كل قرية في مدرسة فريق الأولية، دور مهم في بلورة أهمية التعليم في مفاهيم الناس ، بل وتعظيم الناس لطالب التعليم ، ومن هنا كان نظرة مجتمع مشكيلة لإبنهم على عثمان وهو يتدرج في سلم التعليم بنجاح ، نظرة كل أب لابنه ، ونظرة كل أم لإبنها ، فقد درجوا على الإحتفاء بنجاحه في كل مرحلة وكان مسك الختام تخرجه في جامعة الخرطوم ، فاحتفت به الأسرة الكبيرة (آل حاج)

بمشاركة القرية كلها ، وتوالت دعوات الولائم طيلة العطلة الصيفية للمدارس والجامعات والتي كانت تمتد إلى ثلاثة أشهر .

درس على عثمان المرحلة الثانوية في الأهلية أمدرمان ، وأمضى فترة طويلة مشاركاً خاله محمد طه عبدالكريم السكنى في منزله ، وقد هيا له أسباب

الراحة والمذاكرة وتجلّى نبوغه في التعلم ، هذا ، وقد إمتحن للدخول في المرحلة الثانوية من الخرطوم الذى وفد إليه بعد أن مرض في دلقو الوسطى ...»^(٦).
إن حياة البروفسير على عثمان محمد صالح إرتبطت بمنطقة ميلاده ونشأته إرتباطا وثيقا حتى بعد التحق بكلية الآداب-جامعة الخرطوم عام 1965م وتخرج فيها .

كان على عثمان في طفولته يسترق السمع لصوت تلاوة القرآن الكريم العطرة في خلوة القرية ، ويستأنس بحلق الذكر من السادة الختمية وإلي ترانيم السادة الأدارسة الطربقتان الصوفيتان التى إشتهرتا في المنطقة لتكونا البذرة التى ربت في نفسه حبه للتصوف ليصبح فيما بعد أحد خلفاء الطريقة السمانية. وهذه القاعدة الروحية التى تربي عليها وما ألف عليها من اسرته ربما هي التى جعلته ينتمي سياسيا للحزب الاتحادي الديمقراطي ويكون من قادتها السياسيين.

بعد تخرجه من الجامعة لم تنقطع صلته بمشكلا فكان من المؤسسين لرابطة طلاب المنطقة بالجامعات والمعاهد العليا ونادي أبناء مشكلا، ثم إتحاد أبناء المحس وانتخب رئيسا له لدورة عام 1969م ولعدة دورات أخرى .
هذه مؤشرات عامة تبين لنا مدى تعلقه بمنطقته النوبية وكان دوره أساس في تكون شخصيته العلمية. وكيفينا هنا أنه يردد دوما «أنا من مشكلا ومازالت أقيم فيها ومنزلي بنيته هناك لأنه مكان إقامتي أنزل بها سنويا ووجودى بالخرطوم وإن طال إقامة مؤقتة »⁽⁷⁾.

المزاج النوبي في شخصيته:

تعددت تعريفات الشخصية على حسب التخصصات، ولكننا تكتفي هنا بتعريف مبسط يفىء بالغرض المطلوب يقول: بأنها المحصلة النهائية لتفاعل العديد من العوامل والمؤثرات على الإنسان منذ أن يتخلق في رحم أمه وخلال مسيرة حياته من الميلاد وحتى الممات، أو بمعنى أن الإنسان هو ابن البيئة والوراثة⁽⁸⁾ بصورة عامة. اما الشخصية السودانية فإن ابوسليم يري أنها خلال مسيرتها التاريخية الطويلة تأثرت بعاملين اساسيين:
الأول: البيئات المتعددة والمختلفة. فداخل بيئته الخاصة يظهر الإنسان السوداني ويأخذ صورته المميزة وينمو فيها ويتطور ويخلق ثقافته الخاصة ونظمه المحلية التى تنظم حياته وترتب علاقته بغيره.

الثاني: العامل الحضاري الذي يربط هذه البيئات وبالتالي يعطي للشخصية بعداً جديداً وهذا البعد هو محاولة الإلتقاء بالغير والعيش معه دون التضحية بالفردية أو المزاج الخاص أو الشعور بالمحلية أو الإعتزاز بها^(٩). ويسمى صبري محمد هذا المزاج الخاص الذي ذكره ابوسليم أو الخصوصية الثقافية المتعلقة بالمنطقة النوبية ضمن تعريفاته وتصنيفاته للملاح الشخصية السودانية بالشخصية السودانية النوبية^(١٠) ولكن إستهواني تعبير فكري أبو القاسم لأثر المنطقة النوبية بشمال السودان بثقافتها المفتوحة والمتراكمة على الشخصية النوبية بالمزاج النوبي^(١١) - وهو العنوان الذي إستعرتة أعلاه- ولعلنا نستشف ملامح المزاج النوبي في شخصية على عثمان بين ثانياً ما قاله في إحدى محاضراته: «... وكثير من الذين ظنوا أنني نوبي قح أو نوبي متعصب، سيندهشون لحديثي هذا، هذا لأننا لم ن تعمق كثيراً في التطور التكويني الاجتماعي للنوبيين. وما دخل عليهم من ثقافة العروبة ووصل إلى شخصية سوية في رأيي متكاملة، بحيث أن العربي فخور بأنه عربي، والمحسي فخور بأنه محسي، ويتعاشان في اقليم واحد، فنحن تربينا تربية مختلفة جداً، «ما كان عندنا زول عبد وزول عربي». وعندما خرجنا من مجتمعنا إلى مجتمع أرحب سواء أكان على مستوى الولاية الشمالية أو وادي سيدنا، دخلنا هذا الوسط بفكرة المجتمع، لا بفكرة القبيلة ولا الطرق الصوفية ولا الحزب السياسي، فنحن ختمية في الاصل، ولكن المجتمع تكون من مجموعات اجتماعية وأسسها مختلفة جداً من أسس تكوين القبيلة أو الطرق الصوفية أو الاحزاب السياسية...»^(١٢). فالنوبي تجده منتمي لمنطقته لدرجة التماهي ومعنزه بثقافته حتى لدرجة التعصب، ولكن في نفس الوقت تجده مفتوح على الآخرين ويحترم خصوصياتهم الثقافية .

فمكتب البروفسير/ على عثمان محمد صالح بقسم الآثار- جامعة الخرطوم عبارة عن منتدى دائم يلتقي فيه الأضداد من مختلف المشارب السياسية والاجتماعية والثقافية يختلفون ويتفقون في حضرته فهو القاسم المشترك الذي يلتقي عنده الجميع يتعارفون ويتألفون. وكان له أسلوبه الخاص في التعريف بين حضور مجلسه اليومي. في إحدى المرات عند دخولي مكتبه ومعه مجموعة من الحضور وانا عند الباب أقيت عليهم التحية وقبل أن اجلس ، رد علي بصوته الجهوري وضحكته الطفولية المميزة: «وعليك السلام، أهلاً بالندقلاوي الكافر، لكن والله فيك شوية ولاية انا كنت منتظر جيتك

تعال اقعد جنبي»، ثم وجه إلي حديثه مباشرة .وقال لي :« بتعرف ده -واشار إلي احدهم واجبته بالنفي- واصل حديثه ده دكتور أحمد المعتصم- رحمه الله- مايبعبوا العجب قرأ كتابك خلفاء مملكة المقر، والغريبة أنو كتابك عجبو ، ثم توجه لأحمد المعتصم ضاحكا، ده عوض شبا صاحب الكتاب الكنت بتسأل منو. دنقلاوي بالو طويل مافي زول بيستحمل مساخة الرباطاب حقتك غيروا. كدى اقعدو مع بعض واتناقشو أنا حاسي بتطلعوا لينا حاجة كويسة » ثم واصل حديثه مع الآخرين. هذا هو عم علي- الاسم المعروف بين طلابه واحبابه- التواضع والبساطة والمباشرة في الحديث .رغم لوم البعض له في طريقته هذه في التعامل والحديث ولكنني أظنه سمة من سمات النوبيين يخفون خلفه شخصية عظيمة وقد جدت هذا الأسلوب في التعامل مألوفاً لدي منذ أول يوم قابلته فيه ولم إستهجنه، وكأنه مقتبس من مجالسنا في القرية. واستحضر هنا موقفاً آخر، وهو عندما كنا في سنار ضمن إحدى الفعاليات العلمية لمشروع سنار عاصمة للثقافة الإسلامية عام 2017م ، قابلت هناك الدكتور / هاشم سوداي من العراق ،تعرفت عليه أثناء بحثه عن من يتحدث لغة البرتا أو اللغة النوبية وذلك لترجمة نص عثمانى مكتوب بإحدى اللغات السودانية فدلوه علي. توطدت علاقتي به وأثناء عودتنا إلي الخرطوم بعد نهاية المؤتمر بدأ يسألني عن الإثنيات والثقافات السودانية، وعن الثقافة النوبية وعن الزي النوبي- وكنت حينه ألبس جلابية وطاقية- ثم سألني عن أهم علماء التاريخ والآثار في السودان ،وعن عالم الآثار البروفسير / علي عثمان محمد صالح - يبدو أنه سمع به- قلت له عندما نصل الخرطوم إن شاء الله سوف اعرفك به؛ من حسن الحظ نزلنا من البص عند جامعة الخرطوم، ذهبنا مباشرة لمكتب البروفسير / علي عثمان ووجدناه جالسا وسط طلابه وحيارانه يمازحهم . قلت له:« ياعم علي ده دكتور هاشم من العراق جاي يسلم عليك ويتعرف على النوبيين » ،إندهش مضيقي من طريقة مخاطبتي لعالم جهير السيرة ولزيه البسيط جلبابه وطاقيته - عندها إبتسمت عندما قمت بمقارنة سريعة لزي عالما البسيط ولدكتور هاشم وهو في كامل أناقته بزيه الأفرنجي- فرد بتلقائية وود محبب وهو يضحك :« أهلا باخوانا في العراق. انا النوبة ذاتو داير شنو » هنا إرتبك دكتور هاشم وفطن عم علي للأمر ووجهه جلسائه بالخروج. وطلب من ضيفه الجلوس وأكرمه. وأخذ يحدثه عن السودان وتاريخه وأثاره، وسرعان ما تغيرت نظرة د. هاشم لعم علي

وعرف أنه يجالس إنسان غير عادي وعالم غزير المعرفة. وعندما خرجنا من عنده. لم يزد عن قوله لي مندهشاً: «أنتم شعب غريب». وهنا نستأنس بما كتبه إبراهيم الدلال في تحليل عميق لهذه الثنائية في شخصية عم علي: «... جمع بين طاقة الشريف الخاتم وكاب تشيني في محبة لا تعرف الفوارق بين المعاني الإنسانية فهو من خلفاء الشريف الخاتم وخليفة شيني في آن واحد وهكذا تكون عظمة الرجال ، من قناديل الليل ومن أحباب الفقراء والمساكين ورجل ذكر بامتياز من رآه بالنهار وحُجب بظاهره ظنه علمانياً ، يتستر بعلم الآثار وأوابد الحضارات القديمة كما كان الشيخ محمد محجوب الدوكالي - الولي الكبير - الذي قال عنه أبوبكر العتيق : (وكان يتستر بصناعة الحلواء بمدينة كنو) ، كان الشيخ الدوكالي عارفاً كبيراً وكان متمكناً من صناعة الكيمياء وفي مقدوره أن يحيل النحاس ذهباً ولكنه أثر صناعة الحلواء زهداً في الدنيا وسترأ لحاله مع الله ، هو من أرومة قوم أنا أسميهم يواقيت السودان إنهم المحس - النوبة - والخزرج - والعروبة - والإفريقية - والحضارة في أسمى معانيها . العمل معه أشبه بالوجد الصوفي الشفيف وهو رجل صاحب مرياً كاشفة من أحبه نسبه إلى الكشف الصوفي ومن لا يحبه يعتبره أرواحي على علاقة بالجن و (النزائيل) وهو بين هذا وذاك إنسان أروع ما يكون الإنسان . علي عثمان سفر نفييس جمع بين دفتيه تاريخ الحضارة السودانية بكل جمالها وسماحتها من العصور الحجرية مروراً بكوش الخالدة ومروي الأفق المفتوح على إفريقيا والعالم إلى رهبانية المسيحية الرائعة المسالمة إلى إشراق الإسلام الحنيف ، هو رجل ممتلئ بروحانية الطبقات التي هي عين روحانية السودان هذا الوطن العربي الإفريقي ذو المعجونة النادرة ، إنه ابن هذا الشعب الإكسيري ذي الكيمياء المتفردة - تربال وعلامة ورجل تكايا ودرويش بطران ، بسيط إلى درجة الطفولة صعب المراقبي إذا جالس كبار العلماء وزاحمهم في آفاق مدارات المعارف العالية .. جمع فأوعى وشرب عصارة المعارف ونفذ إلى الخلاصات...»⁽¹³⁾.

ملاحظات أولية لسيرته العلمية والفكرية:

من المؤكد أن السيرة العلمية للبروفسير / علي عثمان محمد صالح قد أخذت حيزاً كبيراً في كتابات وتحليلات لمن تصدى لتوثيق حياته ، ولكن ظننا في هذا الجزء أننا قد نلج باباً غير مطروق في هذا المجال، وهو أثر المكان

والبيئة أو المزاج النوبي في توجهات على عثمان العلمية والفكرية. ولد على عثمان في منطقة عريقة ضاربة جذورها في التاريخ وغنية بتراثها وأثارها، وتشرب منذ نعومة أظفاره حب التاريخ والآثار وهو يستمتع لحكاوي الأباء والأمهات والأجداد والجدا لعظمة إنسان هذا المنطقة منذ فجر التاريخ. وكان من بين ملاعب طفولته المواقع الأثرية التي تعج بها المنطقة مغطية كل الفترات التاريخية منذ العصور الحجرية ثم الحضارات العظيمة والمدنيات القديمة التي أثارها عنها، مروراً بالفترة المسيحية بكنائسها العريقة وطزرها المعمارية المختلفة وحتى الفترة الإسلامية بقبابها التي تناطح أشجار النخيل السامقة. كان الطفل على ينظر إليها بتعجب حيناً ويتأمل حيناً آخر هذا التواصل الحضاري والإستمرارية الثقافية الماثلة أمامه منذ آلاف السنين من الزمان.

في عام 1965م التحق الطالب على عثمان بكلية الآداب-جامعة الخرطوم، وتبارى عليه أساتذة الجامعة كل يحاول يضمه إلى التخصص الذي يدرسه وذلك لما بدر من نبوغه ولكن كانت للذاكرة الطفولة دور حاسم في إختياره للتخصص في الآثار وفي إختيار تخصصه الدقيق في مرحلتي الماجستير والدكتوراه عن الفترة المسيحية النوبية وأثارها، أو ما يعرف بالعصر الوسيط في تاريخ السودان.

بعد نيله للدكتوراة قدم واحدة من أهم الأطروحات الأثرية السودانية وهي علم الآثار الوطني أو المدرسة الأثرية الوطنية؛ وبدأ تنفيذ هذا المشروع الأثري بمنطقة المحس الموسوم ب(المسح الأثري والتراثي لمنطقة المحس) . ومن الواضح هنا تأثير مكان الميلاد والنشأة على إختياره لهذه المنطقة كحقل ميداني لمشروعه كون علمه بتفاصيلها من ناحية. وبسبب ذاكرة النشأة التي إختزنت الكثير من الروايات الشفاهية وخاصة الفترة المسيحية وما يتعلق بمراسم التتويج الملكي في جبل سيصة وغيرها التي كان يرويها لنا من ناحية أخرى. وتشير رحاب شمبول-في ورقة قيد النشر - الي ان البروفيسور على عثمان خصص كثيراً من المقالات والمنشورات العلمية عن منطقة النوبة التي ينتمى إليها لأنه تشرب بثقافتها المحلية ويتحدث بلسانها وعاش بين أهلها فكان نتاج ذلك اعمال فكره في قضاياها وخصوصيتها في ماضيها وحاضرها واستعرضت بعضاً من الكتابات المخصصة للمنطقة والتي اخذت حيزاً مهماً على قائمة الانتاج العلمي لبروفيسور على عثمان منها:

- New Kingdom and Kushite Sites in the Third Cataract Region , Sudanese Nubia
- A sketch of Political History of the Medieval Nubian Kingdoms.
- The Post - Medieval Kingdom of Kokka : A means of A Better Understanding of the Administration of the Medieval Kingdom of Dongola.
- Nubia The Origins and Meanings .
- Medieval Nubia : Retrospect s and Introspects.
- Eskale Water Wheel in the Eyes of A Nubian .
- Nubian Culture in the 20th century comments on Session 15 .
- Archaeology and Settlement in the Third Cataract Region .
- Abu Fatima ; A Nubian Settlement From the Times of Kerma to Modern Times.
- Place – Names as Evidence of History ; The Case of Historic Nubia and its Language.

- القضية النوبية في إطار القومية السودانية

- مشكيلة ونورى : المعانى والدلالات^(١٤).

وخلاصة القول في ملاحظتنا هذه وفق الإشارات المقتضبة- أعلاها- أن بيئة النشأة كان مؤثرا في تشكيل الشخصية الأكاديمية العلمية للبروفسير على عثمان محمد صالح.

الخاتمة:

في نهاية هذه الورقة الموجزة التى نأمل أن لا تكون مخلة في إلقاءها بعض الضؤ في سيرة عالم الآثار السوداني البروفسير / على عثمان محمد صالح وتناولت ملاحظات وإحالات على هامش سيرة ميلاده جلها من وحي معاشرتي له. وهنا أتذكر جيدا أول لقاء معه عام ٢٠٠١م عندما وأنا أعد لرسالة الماجستير أرسلني إليه أستاذى البروفسير / عمر حاج الزاكي ليناقشني في موضوع رسالتى قابلني يومها بوجه متجهم وحديث خشن فصبرت عليه على حسب وصية أستاذي(ما تزعل منو) وبعدها مازحني قائلا: « كنت بختبر صبرك ونوبيتك واشوفك لو بتنفع معاي والحمد لله نجحت » ، وجلست معه

ما يقارب الساعتين من الزمن ويومها علمني ثلاثة كلمات لن أنساها: « يا ابني عند دراستك للتاريخ النوبي لا تخلط بين اللغة والدين والإثنية». خلصت الورقة للقول بأن كان لمكان ميلاد ونشأة البروفسير / على عثمان محمد صالح أثر واضح في تكوين ملامح شخصيته وفي مسيرته العلمية والفكرية. وتوصي الدراسة بالآتي: ١. أهمية إجراء مزيد الدراسات للرموز والرواد والعلماء في السودان والوطن العربي للاستفادة من تجاربهم. ٢. ضرورة تكاتف الجهود والتعاون بين المؤسسات العلمية والإكاديمية في المنطقة لإنجاح هذا المشروع التوثيقي .

صورة رقم (1) منظر عام لمشكيلا



صورة رقم (2) جبل نوري

صورة رقم (3) مسيد حاجينكي القديم



صورة رقم (4) تخرج علي عثمان في كلية الآداب - جامعة الخرطوم



صورة رقم (5) تجمع علي عثمان مع ابن عمه. شرف الدين عبدالعزيز إيام
المرحلة الثانوية



صور رقم (6) علي عثمان في الجامعة



صورة رقم (7) علي عثمان في مناسبة إجتماعية



صورة رقم (8) علي عثمان مع زوجته نعيمة



صورة رقم (9) تجمع الكاتب مع البروفسور / علي عثمان محمد صالح

المصادر والمراجع:

- (1) صدر لي كتابان نهاية عام 2021م، وهما:
- (2) المهدي في لب (دراسة حول أثر المكان في تكوين الشخصية)
- (3) الزعيم عبد الكريم عبد الجبار (إتكاءة على التاريخ الإجتماعي النوبي الحديث)
- (4) ومقال منشور عن المكون الديني للشخصية القيادية السودانية، شكلت هذه الدراسات الإطار النظري والمرجعي لهذه الورقة.
- (5) المصدر الأساسي لهذه الورقة هو مقابلاتي وإتصالاتي الهاتفية مع البروفسير/ علي عثمان محمد صالح التي إمتدت خلال السنين وحتى تاريخ كتابة هذه الورقة.
- (6) سهام على الجميلي، علم نفس الطفولة، (بغداد: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي-هيئة المعاهد الفنية، 1990م)، ص 148.
- (7) علي عثمان محمد صالح، المصدر السابق
- (8) الموسوعة العلمية
- (9) شيخ الدين مختار محمد هاشم، تخصص علم الاجتماع-دكتوراه قيد المناقشة، العمر ٧٠ عام، متواجد بالقاهرة تواصلت معه لإفادتي ببعض المعلومات لكتابة هذه الورقة وامدني مشكورا أيضا بالصور الموجودة في الملاحق.
- (10) علي عثمان محمد صالح، المصدر السابق.
- (11) مجيد محمد عارف، الأنثروبولوجيا التربوية، (بغداد: كلية الآداب-جامعة بغداد، 1990م)، ص 14.
- (12) محمد إبراهيم أبو سليم، في الشخصية السودانية، (الخرطوم: مركز أبوسليم للدراسات، 2004م)، ص 2.
- (13) صبري محمد خليل، عن الشخصية السودانية- دراسة منهجية للمظاهر الفكرية والسلوكية للشخصية السودانية، (الخرطوم: هيئة الخرطوم للصحافة والنشر، 2008م)، كتاب الخرطوم الجديدة (14).
- (14) فكري أبو القاسم، حلفا الجديدة الخطيئة والقربان، (الخرطوم، 2000م)، ص 46.

(15) علي عثمان محمد صالح، محاضرة بعنوان: رحلتي من القبيلة إلى المواطنة،
<https://alnssabon.com>

(16) ابراهيم الدلال، العلامة علي عثمان محمد صالح- صوفي في محراب الآثار،
<https://sudarees.sudanile>

(17) رحاب شمبول مصعب مساعد، إضاءة على كتابات البروفسير / علي عثمان
محمد صالح العلمية المنشورة، (ورقة علمية قيد النشر).

(سيرة النهر النوبي) البروفسور علي عثمان محمد صالح عالم ومفكر الآثار السوداني

جامعة الزعيم الأزهرى

د. جعفر محمد مصطفى أبوزيد

مقدمة:

سيرة البروفسور علي عثمان محمد صالح هي سيرة النهر المتدفق في الحضارة السودانية والثروة القومية الكامنة التي تحتاج الكشف والتنقيب العلمي والمعرفي من أجل توثيق ذاكرة الزمان السوداني عن الشخصيات قبل المعالم والانسانية قبل المواقع والآثار الشاخصة ، وذلك من استدعاء الأعمال العلمية والمعرفية والكشفية في التاريخ السوداني وتجليه الذواكر المجتمعية في ظل التقانه والحفظ التكنولوجي للمعرفة والاستنطاق والكتابة عن الشواهد المعرفية الحية لكي تعرف قدرها ومقدارها في حياتها لا الشكر الذي تحمله نواعي الموتى في السودان حسب العادات والتقاليد الصده ومن هنا كانت التعبير عن العلماء وهم شهود بيننا . والكتابة عن العلماء والمفكرين من طينة بن حوقل والرازي والادريسي والفارابي وابن خلدون وارسطو وسقراط وماجلان وادم اسمث بتعدد العلوم والازمان والتاريخ ترتيب فكر وضماني علمي وحقوق ملكية وتحقق تطبيقي وميداني في اعطاء الحقوق لاهلها والعودة الى الجذور من احياء ثقافة الشكر والاحسان الانساني السوداني وتغيير فتنة الاجنبي والخرق العلمي والابداع المزيف (من واقع زامر الحي الحي لايطرب) وتناقلت الالسن والكتابات علم افلاطون منذ الاف السنين وحجبت العلوم تغطية فكر المفكرين المعاصرين الذين مازالوا يرفدون المسيرة العلمية بالعديد من النظريات والرويات التاريخية من خلال الواقع والتجربة الفكرية الرشيدة. نشأ فتى الشمال النوبي في بساتين النخيل وحقول القمح في الشمال السوداني من سلالة جده للأم تحفظ القرآن بسبع روايات رغم الامية السائدة في ذلك الزمان مع مرافقة اللهجات المحلية للغه العربية في تلك البيئات الجغرافية ، وتقع الشخصية (عم علي) كما يطلو لناطقها بين التاريخ النوبي

المتجذر في معرفته وأدابه وقيمه ، اذا كان في التاريخ المسيحي او في الاسلام وكذلك في اسلام الطبقات الذي يمثل الروحانية السودانية في أسمى معانيها ، والشعب النوبي هو البوابة الحقيقية للمد الاسلامي عب الحوار والتفاوض بعد توثيق (رمة الحدق) لبسالة المداخل والمعابر التاريخية في السودان عبر اتفاقية البقط بين المسلمين والمجتمع النوبي . ونجد صاحب الكتابة جالس النوبة وراطنهم وآنس العروبه فسايدهم بخبرة الآثار والتاريخي والمنظر في الشأن السوداني وبحر المعرفة الحضارية والترجمه التي ضلت البحث العلمي والمعرفي ؟ ، وساهمت نظريات التاريخ النوبي الكشفية في تجلية أغوار وعمق الأصول من المعرفة الرصينه في السودان يعود ذلك للمكانه العظيمه بين الأمم والحضارات المتأصله في عبق التاريخ العالمي ، فوجد الرسومات والنقوش والحداريات والأدوات والآلات والمدن المطمورة في كثبان الرمال والجزر المعزولة والصحارى القاحلة الجرداء وهجير الشمس الحارقة وغربة الراعي في الغياهب المظلمه في المعالم السودانية المندثرة والمتسترة بغطاء الارث المجتمعي المستدام في جذور الثقافة العالمية لربطها بالحاضر المعاصر لرسم المستقبل التنموي المتعثر وتحريك العجلة والتروس استدامه النمو الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والبيئي والثقافي والحضاري في السودان وربط المركز السوداني مع حضارة سبأ وعيزانا وأكسوم وبابل وحضارة بلاد النيل النهر العظيم وكوش ومروي وامتداد الاثر النوبي الى زنجبار ونهر السنغال والحوض المويثاني وتخطيه للبحر الأحمر والمتوسط وبلاد الرافدين ، ويظهر ذلك جلياً في القاموس السواحيلي وغيرها من اللغات واللهجات المحلية الافريقية . ويمكن القول أن صاحب السفر الطويل والنفيس (عم علي) الذي جمع بين علماء ومفكري الآثار السودانيين الذين خبرنا علمهم وتجربتهم ومعرفتهم بين طلابهم والحقول الميدانية للتنقيب والكشف عن بواطن الحضارة الغامضة والمجتمعات غير الناطقة والتي تحتاج الاستنطاق البشري لفك الطلاسم والورد والوارد ، و علي عثمان محمد صالح تغور في ردهات الحضارة السودانية بكل سماحتها من العصور الحجرية مروراً بكوش الخالدة ومروي الأفق المفتوح على افريقيا والعالم من رهبانية النصرى وحتى اشراق الاسلام الحق ، فهو رجل ممتلىء ومسكون بروحانية الطبقات التي تمثل عين وروح السودان هذا الوطن العربي الافريقي الاصيل ذو المعجون المتفرد من المجتمعات المعاصرة إنه ابن هذا الشعب الاكسير ذي الكيمياء المتفاعلة فهو التربال والعلامه والبساطه الى درجة مجالسة الجزئيات

قبل الكليات والبسطاء قبل العلماء والطلاب قبل المفكرين فزاحم في آفاق ومدارات المعارف العالية فجمع وحصد ونفذ الى الخلاصات فصار على حد قول بدوي الجبل : (نقل برشد)

وأوجز في قارورة العطر روضة

واوجز في قوارير الرحيق المختوم

أذهل كاتبنا الخواجات وأثنى عليه الرواد والاولئل من آدامز وخلفه تشيني واحترمه شارلس بونيه وتنبا له أستاذه هيכול بمستقبل رائع ووضعتة كامبردج في سجلها التوثيقي الذي يحوي 2000 عالم أثري في القرن الحادي والعشرين ، جمع بين طاقية الشريف الخاتم والاتحادي المطبوع وكاب تشيني في محبة لا تعرف الفوارق بين المعاني الانسانية ، وهكذا تكون عظمة النثر المعرفي بتلفحه لثوب الاثاري وأوابد الحضارات القديمة بين الأسلاف كما كان الشيخ محمد محبوب الدوكالي الولي الكبير وهو عارف كبير وهو متمكن من صناعة الاحداث يحيل النحاس زهداً في الدنيا وستراً وهو من طينة قوم نسميهم المحس النوبة وخزرج العروبه والافريانية والحضارة في اسمى معانيها. ومنسوب هذه المعاني لا يستطيع اليراع أن يعطيه حقه ولا توفيه الكلمات علمه لكن واجب التغييرات في الفكر المكتوب في السودان تحتم استنطاق ثقافة وأدب التوثيق للشخصية السودانية من خلال السيرة العطرة والزاخرة في القيم السياسية والارث الثقافي والحضاري الذي تشوبه الضبابية في الشخوص والمعاليم والمصادر والمنابع والأصول والكشف الحقيقي في مدرجات العلماء والمنظرين السودانيين وهم بيننا رغم الاعاقة المجتمعية في حفظ وحماية الارث الانساني وتكريم الانسان الذي كرمه ربه خالقه فكيف تدفن الشواخص والمعاليم والشواهد البشرية لهذا لابد من تواصل المسيرة الكشفية في النظرية التاريخية من بوابة العودة الى جذور بن خلود منظر التاريخ الاجتماعي البشري في العالم لإضاءة هؤلاء العلماء والمراصد العلمية لي يشهدوا احسانهم بأنفسهم من بوابة رد الجميل الادبي والاحسان بدل الاحسان وإزالة قيم ثقافة الشكر بعد الممات .

كرمته الكثير من المؤسسات العلمية والرسومية في الداخل والخارج منها وزارة الثقافة في اطار البرنامج المصاحب لمعرض الخرطوم الدولي للكتاب فهو صوفي في محراب الحضارة السودانية ، فقدم جهود علمية في محاضراته وسمناراته العامة والخاصة عن (رحلتي بين القبيلة الى المواطنه) وقد شارك في منصة أريد Arid Scientific Ltd وهي مؤسسة غير ربحية مسجلة في

بريطانيا يمكن التسجيل فيها مجاناً لتحقيق أهداف علمية متعددة الأوجه ، وقد تم إنشاؤها من قبل عدد من الباحثين والخبراء المهتمين بشؤون تطوير قدرات وطاقت وإمكانات البحث العلمي وتوسيع فرص واستثمار ميزات بموقع

Info @arid –my London – UK – ECIV@X 2022

وفي أحد لقاءاته العلمية مخاطباً الشباب بأن هذه الأرض هي جزء من الحضارات العالمية ويقول دوماً يتعلق الانسان بماضيه والحنين اليه حيث يمثل نقطة الاستنارة ومصدر القوة والتخطيط والثروة إذا أحسن الاستغلال للتنمية المستدامة لذلك لابد من أن لا نتخلى عنه حسب قوله ، ويجب أن يدرك كافة الفئات خاصة الشباب أنه هو صاحب ذلك الارث الاثري وحارسه الامين فمن واجبه حمايته وصونه والمحافظة عليه من أجل الآخرين ، خاصة أن ذلك يمثل ذاكرة الأمة لا تكون على اتصال حي بماضيها تكون شجرة فصلت عن جذورها وموتها السريع ، وفي البونه الأخيرة تغيرت كثيراً كافة الأمكنه .

ثم دلف إلى قراءاته في علم الآثار غير التقليدية والمفاهيم الحديثه لاصول علم الآثار ونظرياته وتعريفاته وتفسيراته وكشوفاته وأهميته وأصل الحضارة السودانيه ، فهو على حد قوله علم ميداني يفسر الانتماء الى كل ماهو جميل وكل ماهو حديث وقديم سحيق القدم بالانتماء الى الذات والانتماء الى الآخر ونفس الوقت يحتاج الى خيال واسع يجعل الملتقى لهذا العلم لديه القدرة على الرجوع لازمان سحيقه ويتخيل تركيبة المجتمعات ورغباتهم الشخصية والفردية وعلاقة الانسان ويحيط به من الارض والنبات والحيوان والجمادات وغيرها من البيئات المحيطه بالانسان . ويكون لديه من الخيال مايستطيع أن يركب حياة متكاملة الفصول دون الدخول في كل زخم التطور التقني والمدني والسياسي الذي يؤدي الى الحروب والنزاعات وهضم الحقوق الانسانية والعسكراتية التي تحكم المجتمعات المعاصرة بقوانينها ومدى تدخلها وتحكمها والضغوط المفروضه أكثر من الرغبة الوجدانية في التعرف على القوى الأعلى ،وفي قوله لكل علم شروط أو صفات يجب أن يتحلى بها أهل الاختصاص فما هي الصفات التي لابد أن يتصف بها الآثاري :

في بادئ الأمر علم الآثار علم اجتماعي يعيش في الميدان ويجب أن يكون كئن حي اجتماعي بامتياز قادر على أن يعيش مع الآخرين ويتكيف مع

صفات الآخرين ، وهو سريع البديهة وخفيف الظل بحيث أن استمرارية العمل الميداني يؤدي الى السام والملل وتكون أفراد الفرق العلمية مهتمون بأمر جلب الفرح فيما بينهم وتزداد أواصر الصدق والود وروح الفريق بينهم والامتزاج العلمي والصهر المعرفي الحقيقي ويعني ذلك بذل الشحنات الوجدانية دون انتظار الثمن والايمان بالثالث الثقافي والحضاري ، وعالم الآثار على حسب قول (عم علي) بيده الأمانة العلمية القاسية كما الطبيب الجراح الذي يجرح الأزمان والمكان ولأن مايقوله عالم الآثار ستتناقله الأجيال وتبني عليها النظريات العلمية والأعمال والمشاريع على حد القول في علم الآثار ومواصفات مرتاديه . وتكمن أهمية علم الآثار في حديث عالمنا (مثلما الأهل عز والآثار عز) وهي مازالت الى الآن المصدر الحقيقي للمعلومة لأي مواطن في أي مكان من الأهمية القومية من أجل توضيح الهوية السودانية والأهمية الاقتصادية التي تتمثل في الحفاظ عليها لتحقيق التنمية السياحية المستدامة Sustainable Tourism Development وكذلك الأهمية التاريخية والمتمثلة في الوعي بأنها لاتعمل على تشكيل تاريخ الأمة اضافة الى الدور الثقافي للعلم والمؤسس للثقافة المادية والمعنوية ، ويضيف الدور الاجتماعي للآثار لتوضيح أصول المجتمعات القديمة . وتجول عالمنا ونتجول به في السيرة العطرة في رؤيته حول دور العلم في المناهج الدراسية التعليمية في مدى الوعي وغرس القيم والثقافة وبالتأكيد كما هو في الولايات المتحدة تم تكوين فريق مهمته يمر على مدارس الأطفال بمراحله المختلفة لإستطلاعهم بطرح سؤال ماذا تريد عندما تكبر ؟ فكانت الاجابه لأحدهم بمرحلة الاساس ان يكون عالم آثار ، وطفله اخرى تريد أن تكون كاتبة وللأهمية لا بد من وجود علم الآثار في المناهج التعليمية الاولى وتصبح احد المواد المشكلة للشهادة السودانية ، وعن كيف يكون للشباب دور في العناية بالآثار السودانية لهذا يحثهم كاتبنا على أن يكونوا مبدعين في كافة المجالات مثل التشكيل والتمثيل والمسرح والنكات والطرفة والموسيقى وغيرها من مجالات الدفع الثقافي للأمم والقدرة على تحويل الضيق والمآسي الى ابداع ومثال ذلك صعوبة خروج الفرق البحثية السودانية من حادثة العالم الشاب (أمجد بشير علي خالد *) الذي وافته المنية أثر حادث حركه أليم أثناء أداءه لواجب الوطني في التنقيب عن البحث العلمي لحضارة الأمة السوانية وبفقدته تلفحت الآثار السودانية بثوب السواد عن العمل الميداني والعزله البحثية لأنه من الشباب والأبناء الذين تربوا في كنف الحقول العلمية الميدانية مابين

جامعة شندي والخرطوم والتطواف الحقلي في المواقع الأثرية السودانية وهو في مهد وريعان عمره العلمي والمعرفي وهو المكتشف لبواطن الحضارة السودانية في مقتبل حياته معطون بأصول التربية والقيم من مجتمعه في ضواحي شمال بحري بمنطقة ودرملي المنكوبة من بعده من الوجود النيلي وقرى الضفاف (هبة وعرس النيل الخالد 2019م) والتي كان يحمل همها وحزنها ومستقبلها ورعاية خدماتها وكيفية تنميتها وإصلاح حالها كإحدى القرى الحالمه على النهر الخالد . وبحديثه عن ملتقى النيلين في الخرطوم ووجه الاستثمار السياحي في السودان لانه وطن تراثه وثقافته وعاداته وتقاليده وإنسانه بقدر خمسين ألف عام من التاريخ الانساني ، وغذا نظرت الى كل الوطن في العالم لن تجد له مثيل وهو يحس بالكثير من الحزن على السخط الذي يجده الوطن من الشباب بسبب حالة البؤس والشقاء التي تغطي على الساحة ، وهو في رؤيته السخط على السياسه والحكومات لا يلزم السخط على الأوطان ويرى لابد من حمد الاوطان والشكر على النعم الكامنه بها . وفي رؤيته أن علم الآثار تملكه الشعراء والقريحه الادبية بالقصائد والنثر والادب والأشعار ، وهو علم يبحث أعماق الارض وعمق البشريه وهو العلم الذي اذا حذقه الانسان علمه كيف يكون انسان كامل الانسانيه واضح المقصد بين الاسلوب وقوة الاداء والرقه كالنسيم وهو مسؤوليه انسانية من خلال التعرف على الحياة الغابره للامم والاعتبار ومتابعة تسلسل البناء الوطني والحدة الوطنية المعتمدة القيم الراسخه والارث التليد .

رسخ عالمنا الجليل الكثي من الفكر الكشفي للحضارة السودانية بنظرة متقدمه لا تبني الدراسة الافتراضية التقليدية ولا الروايات الخياليه والعلم الحتمي لكن تدثر بالامكانية الانسانية في التحقق من الوقائع والاحداث والمقتنيات والمعالم الشاخسه وكيفية الاستفاده منها في بناء المستقبل الحضاري السوداني ولاعلاء قيم الانتماء الي الأصول من رفد الوحده الوطنية وحماية الارث التاريخي وتعميق ثقافة الجذور الراسخه في العمق مابين الأرض والحضارة والذاكرة الحية المنقولـه عبر الأجيال والأزمـنه والاحداث المتكررة والمتسلسله والمتجدده في كل الجالات الحياتيه السوداني اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً وثقافياً وبيئياً لتدعيم المخططات التنموية المبدعه في هذا الوطن المعطون بالنماء والزاهر بشخصه وذاكرته الحية وهذا قليل من كثير وقطرة من نهر جاري وومضة من نور ساري وحفنة من تراب وعبق الأمه . (عم على) .

بروفسور علي عثمان محمد صالح رأى علم الآثار الوطنى فى السودان

قسم الآثار- كلية الآداب- جامعة الخرطوم

د. محمد البدرى سليمان بشر

مستخلص:

يهدف المقال الى توثيق أحد الجوانب المعرفية والفكرية للبروفيسور على عثمان محمد صالح بالقاء الضوء على تجربة علم الآثار الوطنى فى السودان، مفهومه، مناهجه، وتطبيقاته الميدانية. ويعرف علم الآثار الوطنى بأنه مجموعة أفكار ومناهج، أسس وتجارب عقلية لدراسة الآثار السودانية وتفسيرها، وهى مدرسة فكرية تميزت باستيعابها لكافة أطروحات المدارس الأجنبية التى عملت فى السودان خلال قرنين من الزمان. بجانب ذلك تتطرق الدراسة الى الجوانب التطبيقية لفكرة علم الآثار الوطنى من خلال ثلاثة مشاريع بحثية هى مشروع المسح الأثارى والتراثى لمنطقة المحس، المشروع الوطنى المشترك لدراسة منطقة الشلال الخامس، ومشروع آثار مروي الكبرى، ويستعرض البحث استراتيجيات العمل الحقلى وأهم النتائج العلمية لتلك المشروعات.

Abstract:

The aim of this study is to document one of the cognitive and intellectual aspects of Professor Ali Osman Mohamed Saleh by highlighting national archaeology in Sudan, its concepts, methods and applications in the field. National archaeology is defined as a set of ideas and methods, practises and field experiences for the study and interpretation of Sudanese archaeology. It is an intellectual school characterised by having adopted all the theories and practises of foreign missions that have worked in Sudan over the last two centuries. In addition, the article looks at the practical aspects of the idea of national archaeology through three field

projects: the Mahas Survey Project, the Archaeological National Joint Project to the 5th Cataract Region, and the Archaeology of Greater Meroe. The study gives an overview of the fieldwork strategies and the main scientific results of these projects.

مقدمة:

مرت عمليات الكشف الأثري في السودان بالعديد من المراحل، بدءاً بمرحلة المؤرخين الكلاسيكيين، ثم أعقبها مرحلة الرحالة المحدثين، ثم مرحلة الكشف والبحوث الأثرية المنظمة في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. وقد اختلفت منهجية وطرق ووسائل البحث الأثري في السودان وفقاً لاختلاف الحقب الزمنية وما طرأ من تطورات على علم الآثار من جهة أخرى⁽¹⁾. وقد شهد الكثير من وادي النيل النوبي دراسة أثرية خلال القرن العشرين كنتيجة لبناء السدود المتتالية على النيل في أسوان⁽²⁾ والتي كان لها الأثر البارز في رسم الملامح الأثرية والثقافية العامة للسودان القديم، وقد تمت معظم هذه الدراسات وفق رؤية مدرسة علم المصريات والتي بنيت فرضياتها لدراسة الحضارة السودانية على أنها امتداد لمصر مما أدى للعديد من القصور فيما يتعلق بفهم وتفسير المعطيات الأثرية والثقافية بتلك الفترة، وبدون ذلك تفسيرات عالم الآثار الأمريكي جورج رايزنر لأصول أسرة نبتة الملكية المدفونة بمنطقة الكرو، وقد وجهت هذه التفسيرات الخاطئة الدراسات السودانية القديمة لمدى طويل من الزمن وألقت بظلالها على الفهم الثقافي العام. ومن ذلك تنال فكرة علم الآثار الوطني عبقريتها بطرحها لحلول وتفسيرات مبنية على الفهم المحلي للآثار والثقافة السودانية. وفيما يلي تناقش الورقة فكرة علم الآثار الوطني وتطبيقاته الميدانية.

أولاً: الخلفية الأكاديمية لرائد فكرة علم الآثار الوطني:

تخرج البروفيسور علي عثمان محمد صالح بدرجة بكالوريوس الشرف في علم الآثار والتاريخ، المرتبة الأولى امتياز من قسم التاريخ كلية الآداب، جامعة الخرطوم عام 1970م. وتحصل على درجة ماجستير الآداب في علم الآثار، من كلية العلوم الاجتماعية- بجامعة كالقري - ألبرتا - كندا عام 1973م، ومن ثم تحصل على درجة دكتوراه الفلسفة في علم الدراسات الشرقية وعلم الآثار التاريخي من كلية الدراسات الشرقية وكلية كرايست - جامعة كمبرج - بالملكة

المتحدة 1978م، وعاد بعدها للعمل بقسم الآثار متدرجا في وظائفه الأكاديمية من مساعد تدريس 1970-1978م وحتى بروفيسور عام 2000م. خلال هذه الفترة تركزت مجالات بحثه وتدريسه في آثار وتاريخ ثقافات وحضارات افريقيا والشرق الأدنى، العمل الميداني الآثاري بكل فروعهِ وتخصصاته، تقنيات وتطبيقات ادارة المصادر الأثرية والثقافية، بجانب السياحة الأثرية، وآثار وتاريخ ولغات وتراث الحضارة النوبية.

أسهم اختلاف المدارس الفكرية التي تدرج عليها البروفيسور على عثمان مابين كندا وانجلترا، واهتمامه بالفكر والثقافة القومية، اضافة الى خلفيته النوبية بشكل كبير في تكوين شخصيته العلمية التي ظهرت جليا في فكرة علم الآثار الوطني والتي سنناقشها بشئ من التفصيل.

ثانياً: علم الآثار الوطني: مفهومه وعناصره الأساسية:

يعني علم الآثار الوطني مجموعة أفكار ومناهج، أسس وتجارب عقلية لدراسة الآثار السودانية وتفسيرها، وهي مدرسة فكرية تميزت باستيعابها لكافة أطروحات المدارس الأجنبية التي عملت في السودان خلال قرنين من الزمان. ومن المعلوم أنه لكل مرحلة تاريخية مفاهيم وأفكار جديدة تتغير بمرور الزمان، وبعد أن كانت مناهج المدارس القديمة بمثابة الدليل الأوحـد لتفسير المعطيات الأثرية في السودان وفق مناهج غربية أضحت هناك حوجة ماسة لإيجاد بعض التفسيرات المنطقية للظواهر الثقافية السودانية والتي لم تتناولها تلك المدارس او غضت الطرف عنها، وتشمل تلك التفسيرات مجمل الثقافات القديمة وتداخلها وحدودها، حيث اصبح تقسيم التاريخ الثقافي السوداني والآثاري والذي صنف بواسطة هذه المدارس يحمل الكثير من أوجه القصور. لذلك كان لابد من وجود آلية لدراسة الآثار والثقافة السودانية وتفسير الظاهرة السودانية برؤية وطنية بعيدا عن المؤثرات الأجنبية لدراسة تلك الظاهرة وتفسيرها.

تم تجسيد المدرسة الأثرية السودانية لأول مرة في مقال كتبه البروفيسور علي عثمان بعنوان «Archaeology in the Sudan» في عام 1981م لدى مؤتمر الدراسات الأفريقية نحو الثمانينات والذي نظّمته الجمعية الكندية⁽³⁾. ومقال آخر نشره عام 1993م بعنوان (Nationalist Archaeology The Case of the Sudan)⁽⁴⁾، تناول المقال الأول المدارس الأثرية في السودان والتي تم حصرها في

مدرستين هما علم المصريات في الشمال ومدرسة ما قبل التاريخ في الوسط، ذلك بجانب وجود تمييز جديد تم تجسيده في مدرسة التراث التي تزعمها الطيب محمد الطيب في برنامجه التلفزيوني «صور شعبية»، وهو يمثل المدرسة الفلكلورية لعرض وتفسير التراث الثقافي السوداني. وقد كانت الورقة محاولة للنظر في حاضر علم الآثار بالسودان ورسم خارطته المستقبلية بالتركيز على أصول ونمو علم الآثار السوداني، وقد شمل ذلك مراجعة جل ما كتب عن السودان القديم، تاريخه، ثقافته، وحضاراته في محاولة للوصول الى مسار علمي يمكن من بناء مدرسة آثارية سودانية لفهم وتوثيق آثار السودان وثقافته بمعزل عن مدرسة علم المصريات. وقد أورد المقال بجانب ذلك عددا من المميزات الرئيسية لعلم الآثار في السودان من خلال ملاحظات الأصل والنمو، يمكن تلخيصها في الآتي:

أ. يعتبر علم آثار النوبة (Nobyology) جزءا من علم الآثار الإنقاضي -نسبة لقيام سد أسوان وبرامج تعليته المتكررة التي أسفرت عن قيام السد العالي- والذي تميز بالنهج الآثاري الشمولي الذي أصبح هدف السلطات المصرية والسودانية حينها، وقد كان ذلك ممكناً بسبب توفر الأموال الكافية والتقنيات المناسبة، خاصة في الجزء الثاني من العمل.

ب. تمثلت النسبة العالية من المواقع التي تم انقاذها ودراستها في تلك الفترة بالمواقع الفرعونية والمواقع الصروحية البارزة، وقد قاد هذا الى تطور مدرسة علم مصريات قوية موجهة في تفسير المعطيات الآثارية والثقافية، لذلك كان محرك البحث والتفسير الأساسي هو النظر الى مصر باعتبارها حضارة عظيمة وأن السودان جزء منها او تابعاً لها.

ت. أثر النمو في المدارس المختلفة لترجمة وتفسير الثقافة النوبية سلباً علينا وتطور علم الآثار الوطني بالسودان، حيث يميل العديد من علماء وطلاب علم الآثار في السودان الى نسيان أن التفسيرات المرسلة مستمدة من البيانات التي تم جمعها من النوبة وليس من كل السودان.

ث. بنى علم الآثار النوبي على دراسة المباني الصروحية، وهذا يعني توافق التقنيات المستخدمة في النوبة آنذاك على هذا النوع من الآثار فقط.

أما فيما يتعلق بالنشاط الأثاري بوسط السودان فقد أورد المقال أنه قد تطور بخط مختلف عما وجد بمنطقة النوبة بناء على اعتبارات عديدة أهمها:

أ. لم يعطى هذا الإقليم فرصاً كافية للعمل الأثاري من قبل المعاهد والمؤسسات الأجنبية المختلفة والتي ركزت في الأساس على مصر والآثار المرتبطة بحضاراتها، كما أنه لا توجد بهذا الإقليم نصب تذكارية وحصون وقلاع كما وجد بإقليم النوبة.

ب. تعلق علم الآثار في وسط السودان بالجانب الحكومي منذ الفترة الإستعمارية حيث أضحى تحت يد السلطة الحكومية العمومية منذ عهد السير كتشنر وونجت باشا بين عامي 1898-1905م، اللذان كان لهما اهتمام بالجانب الأثاري، فقد تمت دعوة وتشجيع علماء ومتخصصين لدراسة حضارات البلاد كما تم تعيين مفتشاً للآثار وإدارة للشؤون الأثرية بمساعدة مدير التعليم. وقد صاحبت هذه المرحلة العديد من المشاكل والتي كان من أبرزها أسماء الأماكن وتفسيراتها حيث أنه قد تم اخذ معظم الخرائط من مصلحة المساحة التي تم تأسيسها في مطلع الأربعينيات وقد تغيرت تضاريس واسماء العديد من المواقع والمواضع حينها. شكل اتساع المساحات والبعد الجغرافي مشكلة أساسية أمام إجراء المسح الأثاري الشامل للسودان. وقد كان من أبرز النواقص افتقار علم الآثار في السودان حينها الى نظام معياري قياسي لاختبار وتصنيف وتعيين المواقع، حيث لم يغطي المسح الأثاري العام كل البلاد وعادة ما يتم تعيين المواقع حسب أسماء الأماكن التي وجدت بها.

العناصر الأساسية لعلم الآثار الوطني «المدرسة الأثرية السودانية»:

شكل تأسيس قسم الآثار جامعة الخرطوم والذي نشأ في عام 1964م بناءً على تقرير رفعته لجنة مكلفة من مجلس كلية الآداب أولى خطوات تأسيس ما يعرف بعلم الآثار الوطني بالبلاد. وبدأ القسم بالدراسات العليا، ونظم دبلوماً عالياً في علم المصريات أشرف عليه البروفيسور مصطفى أمير من مصر. وقد تخرجت في هذا الدبلوم دفعة واحدة كان عدد طلابها أربعة من خريجي الآداب والاقتصاد. كان المرحوم عكاشة محمد علي أحد هؤلاء الخريجين ، تدرج في الوظائف في مصلحة الآثار حتى أصبح مديراً للمتحف القومي ونائباً لمدير

عام المصلحة. وركز القسم اهتمامه بعد ذلك على تدريس علم الآثار لطلاب الامتياز في قسم التاريخ بغرض تخريج أساتذة المستقبل. وكانت الدفعة الاولى عام 1970م والتي ضمت تسعة طلاب ثم تعيين اثنان منهم في قسم الآثار هما علي عثمان محمد صالح وعباس سيد احمد محمد علي. وخلال تلك السنوات شارك القسم في حفريات مدينة مروي القديمة بالبجراوية عندما كان البروفيسور بيتر شيني (P.L. Shinnie) رئيساً لقسم الآثار في الفترة من عام 1965 الى عام 1970م كما كان مديراً لحفريات مروي. ويعتبر مشروع حفريات مدينة مروي أول مشروع بحثي متكامل في مجال الآثار تقوم به مؤسسة جامعية سودانية بعد الحفريات المحدودة التي قام بها أوليفر مايرس (Myers. O. H). أستاذ التاريخ القديم بكلية غردون عام 1947م بموقع عبكة بالقرب من وادي حلفا. وخلال الثلاثين سنة الماضية ساهم قسم الآثار كثيرا سواء في برنامج العمل الميداني البحثي والمشاريع الميدانية أو في تخريج عدد كبير من الطلاب شغل الكثيرون منهم مناصب في مجال الآثار ومجالات أخرى. كما نفذ القسم العديد من البحوث الاثرية الميدانية في كل من مروي القديمة ومنطقة جنوب وشمال أمدردمان، اضافة الى العمل المشترك مع الجامعات المحلية في الشلال الخامس، والجامعات الأجنبية في مناطق النيل الأبيض وعطبرة والبطانة والخرطوم. كما جدد قسم الآثار رخصة العمل الاثري بمدينة مروي القديمة عام 1999م بعد ان وقع اتفاقية مع متحف اونتاريو الكندي (Royal Ontario Museum. ROM) للقيام بمشروع تنقيب وحماية الموقع الاثري، وذلك بعد توقف العمل مع جامعة كالقري الكندية في بداية السبعينات ومع جامعة ميونخ عام 1994م. وللقسم مشاريع أخرى مشتركة في منطقة البحر الأحمر مع المعهد البريطاني بشرق افريقيا. كما يعد القسم لبرنامج حقلي مشترك في منطقة المحس مع جامعات ومتاحف عالمية لانقاذ الرسومات الجدارية والكتابة النوبية على جدران المباني الاثرية في المنطقة. كذلك تحصل قسم الآثار على رخصة عمل جديدة في العام 2004 لمسح وتنقيب المنطقة الممتدة من المدينة الملكية وحتى المطمر ولتكون منطقة بحث وعمل ميداني ودراسات مستقبلية لقسم الآثار وطلابه. ومن هذا السرد يتضح الدور الذي قام به قسم الآثار، ولالزال، في ادارة البحوث الميدانية الوطنية الخالصة في السودان. الا ان «مشروع المسح الآثاري والتراثي لمنطقة المحس» هو دون شك المشروع الوطني الرائد.

ثالثاً: الدراسة التطبيقية لفكرة المدرسة الأثرية الوطنية:

تجسدت الدراسة التطبيقية للمحتوى النظري للمدرسة الآثارية السودانية في العديد من المشروعات التي تم تنظيمها بواسطة قسم الآثار والتي من أهمها مشروع المسح الآثاري والتراثي لمنطقة المحس، المشروع الوطني الآثاري المشترك لدراسة منطقة الشلال الخامس، ومشروع دراسات آثار مروي الكبرى. سيتناول البحث مشروع المسح الآثاري والتراثي لمنطقة المحس بشكل أكثر تفصيلاً وذلك باعتبار أنه رائد المشاريع الوطنية بالبلاد والذي أسفر عن نتائج مهمة فيما يتعلق بالآثار السودانية، اكتشافها، طرق دراستها وتفسيرها كما أسهم في رفد البلاد بعدد مقدر من الكوادر المؤهلة علمياً من حملة الدرجات العليا.

(1) مشروع المسح الآثاري والتنقيب الانقاضي واللغة والاستيطان والتاريخ لمنطقة المحس⁽⁵⁾:

نشأت فكرة قيام المشروع باسمه الأول (المسح الآثاري والتراثي لمنطقة المحس)⁽⁶⁾ في نهاية الثمانينات من القرن العشرين بعد أن أعد البروفيسور علي عثمان محمد صالح عدد من الأوراق المتتالية لتكون الإطار العلمي والعملية والميدانية والنظري للمشروع. وهي كالآتي:

- أ. الورقة الأولى: خطة المشروع: وشملت المعلومات المعروفة عن آثار المنطقة من الأبحاث والدراسات السابقة، كما شملت تفاصيل خطة المشروع مصحوبة بعدد كبير من الخرائط والصور الفوتوغرافية.
- ب. الورقة الثانية: بعنوان الآثار والمجتمع.
- ج. الورقة الثالثة: بعنوان المذكرة التفسيرية: وتناولت - بالإضافة إلى ما ورد في الورقة الثانية - نوايا الآثاريين عند المشروع في تأسيس عمل بحثي ما. وقد قدمت هذه المذكرة لأعضاء فريق العمل الدائمين وغير الدائمين ولجموعة من العلماء والمهتمين.
- د. الورقة الرابعة: كانت بحث بعنوان (علم الآثار الوطني في السودان): وهو عبارة عن تأطير نظري شامل للمشروع وأهدافه ومهامه. وقد الحق بهذا البحث مذكرة المشروع الأولى والمذكرة التفسيرية كملحق أول وملحق ثان. وقد أعد هذا البحث بغرض عرضه على أساتذة وعلماء الآثار عامة، وعلماء الآثار السودانية خاصة للمناقشة والتنقيح وإثراء البحث الذي تبني منهج العلوم المتداخلة وهي علم الآثار، علم

اللغة، علم الفلكلور، علوم البيئة وعلم الاجتماع. وفعلًا قدم البحث للمناقشة ضمن أعمال المؤتمر السابع للجمعية العالمية للدراسات النوبية الذي انعقد في جنيف - بسويسرا في الفترة من الثالث وحتى الثامن من سبتمبر عام 1990م. وقد تم نشر هذا البحث فيما بعد ضمن أعمال ذلك المؤتمر.

هـ. الورقة الخامسة: المذكرة الموجزة والتي كتبت بعد الموسم الأول وتناولت أهمية الزمن الذي بدأ فيه العمل. كما تضمنت المفهوم الوطني للمشروع باعتباره مثالاً حياً لعلم آثار وطني يلبي حاجيات المجتمع السوداني مع تقيده والتزامه بقوانين علم الآثار العام. وقد ضم المشروع كل منطقة المحس المعلومة لخريطة المشروع، كما اضيف التنقيب لمجالات عمل المشروع خاصة بعد ان اصبحت المواقع الأثرية مهددة بالدرجة الاولى بقيام خزان كجبار. واصبح المشروع مشتركاً بين جامعة الخرطوم والمعهد البريطاني بشرق افريقيا واللجنة العليا لتعويض وتوطين المتأثرين بمشروع خزان كجبار.

يعتبر المشروع بهذا الفهم برنامجاً متعدد العلوم يشتمل على البحوث الأثرية والتاريخية واللغوية والبيئية والفلكلورية ضمن دراسة اقليمية محددة الأهداف والمناهج. ويصب التركيز الأساسي في نقطة المحس والتي تعتبر حدا (Zone) ثقافياً ولغوياً منذ الفترة الوسيطة، ان لم يكن اقدم من ذلك. ويكتسب هذا الاقليم أهميته باحتفاظه للعديد من عناصر الاستيطان التاريخي والكثير مما يمكن النظر اليه كأشكال تقليدية للثقافة النوبية في بيئة ناطقة بالنوبية. يعتبر مشروع المسح الأثري والتراثي لمنطقة المحس عبارة عن برنامج أبحاث متكامل يشتمل على العديد من أفرع العلوم الإنسانية والتي من أهمها:

- الدراسات الأثرية
- الأبحاث التاريخية
- الدراسات البيئية
- البحث اللغوي وتسجيل وتحليل أسماء الاماكن
- البحوث والدراسات الفلكلورية

أعتمد العمل الحقلّي للمشروع علي تصميم استمارات مختلفة للرصد والتحليل، حيث عنيت أولى الإستمارات بالاستكشاف، وعنيت الثانية بالتسجيل، بينما خصصت الثالثة للمسح، وعرفت الرابعة بالدراسة، كما تضمن العمل ما

يعرف بالإستمارة الشاملة التي احتوت كذلك على التعريف بالباحث. وقد نتج هذه التقسيم وفقاً لظروف المنطقة المعينة وطبيعتها، وقد شكلت لاحقاً المادة العلمية المجموعة بتلك الاستثمارات مادة الدراسة الرئيسية للمشروع والتي تم نشرها في مجلد ضخيم بعنوان: «The Archaeology of a Nubian Frontier, Survey on the Nile Third Cataract, Sudan» عام 2012م بالاشتراك مع ديفيد ادواردز ومجموعة من الباحثين الوطنيين. من نتائج العمل الميداني لمشروع المسح الآثاري والتراثي بمنطقة المحس:

1. المسح الآثري:

هدف المسح الآثري لمنطقة المحس لدراسة التاريخ الاستيطاني الطويل بالمنطقة واكمال استكشاف المواقع الآثرية، ويتضمن ذلك اعمال المسح والحفريات الاختبارية للمواقع الرئيسية بصورة اكثر تفصيلا وعلى وجه الخصوص تلك التي يشكل قيام الخزان تهديدا لها. وقد كانت الأولوية الرئيسية في هذا المسح هي جمع المعلومات الجديدة في شكل قائمة بالمواقع من خلال ستة مراحل متسلسلة من المسح وهي:

1. تحديد الموضع الجغرافي للمواقع الآثرية من خلال النصوص المسجلة والمصادر الأخرى كالروايات الشفاهية.
 2. استكشاف أولى للتحقق من المواقع المعروفة وتحديد المواقع الجديدة.
 3. القيام بمسوحات منظمة ومكثفة لتحديد أكبر عدد من المواقع الآثرية لتغطية كل المنطقة المقررة للمسح والتنقيب.
 4. تعريف وتصنيف وتسجيل المواقع.
 5. القيام بمسوحات محددة لمناطق مختارة من خلال مسح منظم بالارجل، مع التركيز على المواقع الهامة او المهددة.
 6. القيام بمسح كامل لمواقع المناطق المختارة يشتمل على القياس الشامل للموقع، مع امكانية القيام بحفريات اختبارية.
- وقد شمل العملي الكلي للمشروع علسبعة مواسم آثرية تمثلت أبرز نتائجها في الآتي:

1. الموسم الاول (6 مارس – 6 ابريل 1990م):

أكمل المشروع خلال هذا الموسم الاستكشاف الأولى للضفة الغربية للشلال الثالث من حنك حتى كجبار، وتم تسجيل 52 موقعا تتدرج من

فترات ما قبل التاريخ حتى القرن التاسع عشر. كما تم تسجيل سبعة مواقع أخرى على الحافة الشمالية لجزيرة اردوان.

واستطاع فريق العمل الآثاري خلال هذا الموسم ان يجري دراسات تحليلية جامعة ومباشرة لثلاثة مواقع كبيرة وممتدة هي:

1. كسنفركي من مواقع الفترة الوسيطة وما بعد الوسيطة.
2. فقيرنفنتي من مواقع الفترة الوسيطة.
3. جوقل وهي قرية تعود للفترة الوسيطة وما بعد الوسيطة.

2. الموسم الثاني (25 نوفمبر – 30 ديسمبر 1991م):

تم التخطيط في هذا الموسم للقيام بعمل مماثل للموسم الأول في الضفة الشرقية وداخل جزر الشلال ومد المسح شمالاً حتى جبل سيبي - دلقو. ولبعض الظروف ثم اكمال الاستكشاف الاولى حتى مشكيلة - فريق. كما تم تحديد 120 موقعا وتسجيلها وتوثيقها حتى المرحلة الرابعة من المراحل الموضوعية لبرنامج المشروع.

واستطاع فريق العمل الآثاري خلال هذا الموسم ان يجري دراسات تحليلية جامعة ومباشرة لأربعة مواقع رئيسية:

1. طمبلنتود في جزيرة تمبس وهو موقع اسلامي.
2. دابكي في جزيرة دابكي وهو موقع فرعوني مسيحي اسلامي.
3. المدينة المروية القديمة في موقع كدرمة.
4. مقابر المملكة الحديثة بمنطقة تمبس.

بعد هذين الموسمين توقف المشروع نتيجة للظروف التي طالت مدير المشروع البروفيسور علي عثمان منذ بداية يونيو 1992م. وتوقف بذلك المشروع وتعطل العمل في اثنين من اهم المواقع بمنطقة المحس والمنطقة النوبية بشكل عام. حيث كان مخططا اكمال العمل الميداني في موقع تمبس بحيث تتم حفريات المقبرة التي بدا فيها العمل في الموسمين السابقين. كما تعطل المسح الاثري في المدينة المروية القديمة في موقع كدرمة وهي المدينة المروية الوحيدة التي وجدت في منطقة المحس ولا يوجد لها مثيل في النوبة الوسطى او النوبة السفلى الا موقع كارنوق الذي تمت دراسته في بداية القرن العشرين في منطقة الشلال الاول.

كل ذلك لم يمنع تواصل العمل الدراسي والتخصصي الذي ادى الى نشر

كتابين عن المشروع، هما التقريرين عن الموسمين الاول و الثاني والليذان صدرا من مطبعة جامعة كمبردج البريطانية عامي 1992 و 1994 كما تم اعداد ارشيف كامل يحوي ملفات العمل والمقتنيات الأثرية والتقارير الأولية والصور ومذكرات أعضاء الفريق اضافة الى ملف كامل عن المشروع بالانترنت.

3. الموسم الثالث (يونيو - يوليو 1999):

توصل العمل الميداني في يونيو 1999 بموسم مسح وتنقيب قصير غطى 40 كلم من الضفة الغربية للنيل من سيسي وحتى بداية الشلال الثالث في تمبس. وقد تم تسجيل 20 موقعا جديدا اضافة الى مسح وزيارة تلك المواقع المسجلة في الموسمين السابقين وذلك لتأكيد مواضعها باستخدام جهاز التحديد العالمي للموضع الجغرافي (GPS) علاوة على ذلك تم حفر أحد مواقع العصر الحجري الحديث بمنطقة باري بالقرب من دفوي المعسكر الرئيسي لذلك الموسم.

4. الموسم الرابع (1 ابريل - 7 مايو 2000م):

انحصر العمل في هذا الموسم في جزيرة أردوان، حيث تم القيام بمسح علمي كامل للجزيرة اضافة الى استكشافات أولية على طول حدود الجزيرة تقريبا واكمال مسح منطقة شرق فاد. وخلال هذا الموسم تم تسجيل ثمانين موقعا جديدا و 10 مواقع أخرى خارج الجزيرة، وتم خلاله حفر مقابر مروية من الفترة المتأخرة كما تم حفر صوامع الغلال من عهد كرمة. وخلال هذا الموسم ايضا تمت اعادة زيارة اغلب مواقع الضفة الشرقية بين تمبس وكدرمة والتي تم تسجيلها في مواسم سابقة وذلك لمعرفة حالتها الراهنة وتأكيد موضعها الجغرافية باستخدام الـGPS، وفي ذات الوقت كان هناك مسح لغوي قائم بفريق من معهد الدراسات الاسيوية والافريقية جامعة الخرطوم برئاسة بروفيسور هيرمان بل (Herman Bell).

5. الموسم الخامس (يناير - مارس 2002م):

غطى موسم العام 2002 عددا من المناطق وقد تم تسجيل 45 موقعا وعددا آخر من المواقع بجزر سمت، مسل، وناب والتي لم يتم فيها القيام بأي عمل اثارى من قبل. اضافة الى ذلك تم القيام بعمل آخر بالضفة الغربية يشمل اعادة مسح المناطق الواقعة شمالى حنك وتسجيل العديد من المواقع الهامة الأخرى. حيث تم تأكيد وجود اكثر من 50 موقعا على اثر

معلومات تم جمعها خلال عمل حقل عن أسماء الأماكن عام 2001م. وعمل آخر يتضمن القياسات والرسوم والتخطيط في عدد من المواقع مثل نوري، فقيرنفنتي وجبل وهابة. وخلال هذا الموسم تم تقييم شامل للآثار المعمارية في المناطق المذكورة في الفترة الوسيطة وما بعد الوسيطة. وانتهى العمل باكتشاف الآثار العثمانية في جزيرتي مسل وناب ومنطقة نوري، كما تم إجراء حفريات اختبارية في موقع كدا موسى بغرض الحصول على مواد عضوية لتحليلها للحصول على تاريخ للموقع باستخدام كربون 14 المشع.

6. الموسم السادس (أغسطس - سبتمبر 2003م):

تركز العمل الآثاري خلال هذا الموسم في منطقتين رئيسيتين هما المنطقة الممتدة من تينيكي الى تينري في الضفة الغربية ومواقع الضفة المقابلة لها، ومنطقة سبو. في المنطقة الاولى تم التعرف على خصائص الموقعين الاثرين بسيسي وتينيكي وتقييمهما وإجراء حفريات اولية بهما. وتم رسم وتسجيل مقبرة شيخ مرزوق بالضفة الشرقية جنوب دلقو. وقام فريق العمل بالقيام بتقييم شامل للآثار المعمارية الدينية والمدنية والعسكرية بالمنطقة خاصة الموقع العثماني بتينيري. وتم مسح وتقييم مواقع مملكة كوكا في كوكا وشده وسدله وقرقود.

في الجانب الآخر تم تركيز العمل المسحي بويان منطقة سبو جنوب شلال كجبار، حيث تم اكتشاف العديد من المواقع الاثرية من فترة ما قبل التاريخ والعديد من الرسوم الصخرية على جبال وصخور المنطقة، وقد وجد ان هذه الرسوم الصخرية تربو على الالف رسم على جبال وهضاب ممتدة لحوالي اربعة كيلو مترات. كذلك تم التعرف على الحدود الشرقية للجزيرة التاريخية الثالثة في منطقة الشلال الثالث وهو فرع النيل القديم الذي كان يصب في النيل في قرية اسماكل بين فريق وجدي.

7. الموسم السابع (فبراير - مارس 2005م):

تم في هذا الموسم مراجعة بعض المواقع التي تم مسحها فيما قبل على طول الشلال الثالث واكتشاف أخرى خاصة على طول وادي فرجا. يعتبر هذا الموسم خاتماً لأعمال المشروع حيث تم التخطيط بعده لنشر كافة نتائج المسح الآثاري والحفريات الأولية وبالتالي فقد أنهى المشروع أحد أهم جوانب خطته العامة التي وضعت مسبقاً.

ب. المسح اللغوي:

ركز البحث اللغوي على تسجيل وتحليل أسماء الأماكن في منطقة الدراسة مع التركيز على المواقع والأماكن المهددة بقيام سد كجبار. كما هدف العمل الى تأسيس أنماط معاصرة لاستعمال اللغة وعلاقتها بالانماط التاريخية حسب ما تشير اليها أسماء الأماكن. كما جرت محاولات للتعرف على خصائص أسماء الأماكن وربطها باصول مروية محتملة.

تركز العمل على الاسماء الجغرافية بقيادة البروفيسور هيرمان بيل والاستاذ محمد جلال هاشم. وهدف العمل على التاكيد بأقدمية أسماء الأماكن قدم الآثار نفسها وهي بالتالي تحتاج لنفس ما تحتاجه الآثار من الدراسة والتقصي.

ج. البحوث الفلكلورية ودراسات الانساب:

مثلت دراسات الانساب حقلا مهما للدراسة، سواء كان ذلك فيما يتعلق بدراسات الطوبونيميا (دراسة اسماء المواقع الجغرافية واصلها Toponymy) او اشكال الدليل الأخرى للمستوطنات. وقضايا اكثر تحديدا تتضمن تأثير المساهمات الاسلامية الاولى والعثمانية والتاثيرات الأخرى على تطور السلالات النوبية الحديثة. وتم في هذا المسح تسجيل التواريخ الخصوصية للأفراد ذوي الحرف مثل الخزافين، والحدادين والمراكبية. كما وضع في الاعتبار دراسة التقاليد المرتبطة بمواقع محددة بما في ذلك مواقع الآثار تحت مسمى (فلكلور المواقع الأثرية) ومسمى آخر هو (ثقافة الموت). وتضمن هذا الجانب كذلك دراسة الطرق الصوفية في منطقة المحس، شيوخها وقبابها المنتشرة في المنطقة كلها ويمتد تاريخ بعضها الى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين.

ج. الدراسة البيئية:

يتميز الاقليم بخاصية هامة وهي بقاء مواد اثارية عضوية عديدة لفترة طويلة من الزمن بسبب المناخ الجاف الذي يساعد على الحفاظ على هذا النوع من المواد الأثرية. وبذلك تمكن المشروع من اجراء دراسات عن النباتات القديمة خاصة مع احتمال وجود مواقع قد تعود لآلاف السنين. وقد تم عمل موسم واحد جاد فيما يتعلق بدراسة الحشرات والطيور والاسماك والانسجة البشرية وخلافها، ومن أبرز نتائج هذا العمل أنه مهد لتطوير مثل تلك الدراسات مستقبلا عن طريق تهيئة المجال لدارسين جدد

خاصة طلاب الدراسات العليا بقسم الآثار، والتوصية بإنشاء معمل حديث بقسم الآثار لإجراء التحليلات المعملية الخاصة بالمواد الأثرية التي تم جمعها.

مساهمة المشروع في تدريب طلاب قسم الآثار:

ساهم المشروع بصورة فاعلة في تدريب طلاب قسم الآثار، حيث أشرك المشروع في موسمه الأول طلاب المستوى الخامس للعام الأكاديمي 1989-1990م، وفي الموسم الثاني اشرك المشروع طلاب المستوى الخامس كما نفذ المشروع الأكاديمي 1999-2000م، وطلاب المستويين الثالث والرابع للعام الأكاديمي 2002-2003م. وقد تم اشراك الطلاب في الاساس للتدريب على مسئولية العمل الآثاري البحثي والانقاضي اولا وتدريبهم على انواعه ثانيا. كما استحدث قسم الآثار مقرر (العمل الميداني المتقدم) لطلاب المستوى الرابع ومقرر ادارة المصادر الثقافية والآثرية لطلاب المستوى الخامس. وذلك للمشاركة في اعمال القسم الميدانية البحثية الدائمة ومن ضمنها مشروع المحس الآثاري.

مساهمة المشروع في تدريب طلاب الدراسات العليا:

هنالك عدد مقدر من اساتذة الآثار بالجامعات السودانية المختلفة الذين اعدوا رسالتهم لدرجة الماجستير و/ او الدكتوراه في اطار اعمال ونتائج مشروع المحس الآثاري وهم كآآتي:

الاسم	الجهة	الدرجة
يحي فضل طاهر	جامعة الخرطوم	دكتوراة
أمل حسن قسم الله	الهيئة العامة للآثار والمتاحف	ماجستير
أمل عوض مختار	الهيئة العامة للآثار والمتاحف	ماجستير
عبد الرحمن إبراهيم سعيد	جامعة الخرطوم	ماجستير / دكتوراة
رحاب خليل بشير	جامعة الخرطوم	ماجستير

الاسم	الجهة	الدرجة
رحاب شمبول مصعب	جامعة وادي النيل	ماجستير / دكتوراة
سارة عبد المنعم	جامعة الخرطوم	ماجستير
سعاد عثمان بابكر	خاص	ماجستير
ناهد عبد اللطف	جامعة بحري	ماجستير / دكتوراة
محمد أحمد عبد المجيد	جامعة وادي النيل	ماجستير / دكتوراة
يوسف العبيد	خاص	ماجستير
سناء محمد أحمد الابطال	جامعة دنقلا	ماجستير
أمل عمر أبو زيد	جامعة أمدرمان الأهلية	دكتوراة
أزهري مصطفى صادق	جامعة الخرطوم	دكتوراة
منال محمد عثمان	معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية جامعة الخرطوم	ماجستير
عبد المنعم أحمد عبد الله	جامعة شندي	ماجستير
محمد البدري سليمان	جامعة الخرطوم	ماجستير / دكتوراة
عبير علي عمر	جامعة النيلين	ماجستير
مني عابدين	خاص	ماجستير
ياسر علي محمد تاي الله	جامعة الخرطوم	دكتوراة
رباب عبد الرحمن الوسيلة	جامعة الزعيم الأزهري	دكتوراة

الاكتشافات الجديدة في نتائج المشروع:

تعتبر بعض نتائج هذا المشروع اكتشافات جديدة اضافت الى معرفتنا لتاريخ المنطقة الثقافي ابعادا جديدة بل انها فسرت واجابت على اسئلة كبيرة في تاريخ السودان القديم والحديث مما سيؤدي الى تغيرات رئيسة لفهمنا على الوجه الصحيح. ومن أبرز هذه الاكتشافات:

أ. رصد وتسجيل عدد مقدر من مواقع العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث واكتشاف مجاري أنهار قديمة تغطي المساحة شرق النيل وحتى خط السكة الحديد القديمة. وقد أدى هذا الاكتشاف الى معرفة ان منطقة الشلال الثالث كانت بها في الاساس جزيرتان عدا الجزر المعروفة حاليا. حيث كَوْن خور فرجه الذي يتفرع من النيل في شرق سمت ويصل النيل مرة أخرى في خور مسيدة جزيرة، كما كان يتفرع خوراً آخر من النيل ليتصل بخور سيون - فركي في الحدود بين جدي وسبو مكوناً جزيرة كبيرة زالت معالمها الان. كما ان خور اسمكول الحالى ربما كان يتصل بامتداد خور سيون - فركي ليكون شبه جزيرة. وفي خلال اربعة مواسم لمشروع المسح الآثاري لمنطقة المحس (1990-2002) تم الكشف عن 47 موقعا في فترة ما قبل التاريخ في منطقة الشلال تعود 17 منها لفترة العصر الحجري الحديث. وقد اثبتت الاكتشافات التي تمت على المواقع الاخيرة في المناطق الداخلية للشلال الثالث حول وادي فرجا، ومنطقة اشو وعلى الضفة الشرقية للنيل عند نهاية وادي فرجا انه يمكن التعامل مع مخلفات مواقع هذه الفترة كنطاق ثقافي متجانس يمكن تاييده من خلال المنهج الاقليمي المتداخل (Intra-Regional) ومن خلال اعادة تقييم للتطور الثقافي للعصر الحجري الحديث في عموم منطقة النوبة، بالرغم من ان الاختلافات في بعض المواقع تتطلب دراسات اضافية مفصلة قد تكون مفيدة في تطوير تسلسل زمني لمواقع العصر الحجري الحديث بالشلال الثالث ومنطقة المحس عموما.

ب. المستوطنة المصرية في تمبس وجزيرة دابكي والمقابر الملحقه بها لامراء مصريين ربما كانوا ولاة هذا الاقليم بعد ان هزمت جيوش المملكة المصرية الحديثة جيوش مملكة كوش الاولى اي مملكة كرمة واحرقت المدينة. ولم تكن توجد اية دلائل لاستيطان مصري في هذا الاقليم بعد

كرمة، بل ذهب العلماء الى القول ان جيوش المملكة المصرية الحديثة قد تراجعت الى مصر بعد ان فتحت الاقليم للتجارة. وقد تم تحويل هذا الجزء من المشروع لجامعة كلفورنيا الامريكية بالتوافق مع الهيئة القومية للآثار والمتاحف التي تصدر رخصة العمل الآثاري في كل انحاء السودان. ومازال فريقها يعمل ويزيد اضاءات كثيرة على اكتشافات مشروع المحس في تمبس بقيادة بروفيسور استيوارت تايسون اثميث وبروفيسور بروس وليامس اللذان يعتبران من أبرز علماء علم المصريات الحاليين في العالم.

ت. الاكتشاف المذهل بالوجود الاسلامي الفاعل في اطار مملكة دنقلا المسيحية ابتداءً من القرن التاسع الميلادي في صورة امارات اسلامية متزامنة مع المملكة المسيحية، حيث وجدت الدلائل الآثارية الدامغة لمملكة السكراب في منطقة دلقو وسدلة من القرن التاسع الميلادي في شكل قباب ومقابر فريدة في الشكل الخارجي، كما وجدت دلائل مماثلة لوجود الطريقة الركابية حاكمة ازاء أخرى من جنوب المحس بالتركيز على جزيرتي ناب وسمت من القرن العاشر وحتى القرن السادس عشر، حيث ضمت جيوش السلطان العثماني كل منطقة المحس الى اقاليم الامبراطورية العثمانية في 1584 ميلادية واختارت جزيرة مسل لقيادتها العسكرية حيث بنت فيها قلعة عسكرية ضخمة على الطراز التركي، كما اختارت نوري لتكون مقرا للقيادة المدنية للولاية (ايلات المحس) حيث اكتشفنا هناك مقر الحاكم، وهذا الاكتشاف يثير اسئلة كثيرة حول نظرية دخول الاسلام التاريخية حيث انه من الواضح ان الاسلام دخل السودان بمعاودة البقط ومعها وليس في القرن الرابع عشر كما يقول المؤرخين.

ث. يعتبر اكتشاف آثار الفترة العثمانية في منطقة الدراسة اضافة جديدة وذات اثر بعيد لفهم تاريخ السودان في العصر الوسيط وفهم الشخصية السودانية الحالية التي تشكلت على التراث الاسلامي الاصلاحى العثمانى في الشمال والتراث الاسلامى الصوفى المحسى في القرون من التاسع وحتى السادس عشر، والفونجى في القرون من السادس عشر وحتى التاسع عشر الميلادى في وسط السودان. كما القى هذا الإكتشاف الضوء على سبب الهجرة المحسية الكبيرة الى

أواسط بلاد السودان منذ حوالي 1600م وهي الهجرة التي شملت الشيوخ الكبار من أمثال الشيخ ادريس ود الارباب، والشيخ ارباب العقائد والشيخ حمد والشيخ خوجلي والشيخ الامام الذين كونوا جزءا هاما وكبيرا من التراث الصوفي في مملكة العنج وفي اواسط السودان.

كما فسر هذا الاكتشاف ظهور الخلاوي القرانية - الفقهية في ارض المحس منذ بداية القرن السابع عشر وانحسار المد الصوفي فيه تبعا لذلك. فقد اضعف العثمانيون الاسلام الصوفي في المحس وهم الاسلاميون السنيون الاصلاحيون، واتوا لديار المحس بعدد من الفقهاء والقضاة من اسطنبول ومن الاراضي المقدسة وافتتحوا لهم الخلاوي القرانية - الفقهية.

(2) المشروع الوطني الآثاري المشترك لدراسة منطقة الشلال الخامس⁽⁷⁾:

يعتبر مشروع الشلال الخامس مشروع ميداني بحثي شامل لآثار المنطقة وبيئتها وانسانها وثقافتها التقليدية بغرض انشاء نموذج دراسي علمي حديث في الدراسات الانسانية والاجتماعية السودانية يضئ تاريخ منطقة مهمة جدا في منطقة وادي النيل الأول الأوسط لعبت دورا رئيسيا في صياغة تاريخ وثقافة وهوية الأمة السودانية. وقد تم بناء المشروع ليصبح مشروعاً ميدانياً ليستوعب تدريب طلاب الآثار والعلوم الإنسانية والإجتماعية الأخرى على أحدث التطورات العلمية العالمية والإقليمية والمحلية.

سعى المشروع فوق هذين الهدفين الكبيرين الى تنمية مجتمعات منطقة الدراسة تنمية مستدامة حيث أنها منطقة غنية جدا بإمكانيات تطوير الصناعات المحلية مثل صناعة صيد السمك وصناعات زراعة وتسويق النباتات الطبية وغيرها، ولما تتميز به المنطقة من امكانيات سياحية هائلة في مجال السياحة الطبيعية، سياحة النهر، والسياحة الثقافية والآثارية، وقد هدف المشروع في ذلك الى تهيئة المنطقة لقيام سياحة متطورة ومربحة ومتصالحة مع البيئة.

بناء على ذلك تم بناء المشروع من أربعة فروع أساسية، وهي:

(أ) فرع الدراسات الآثارية

(ب) فرع دراسات البيئة

- (ت) فرع دراسات الثقافات التقليدية
(ث) فرع دراسات السياحة والتنمية المستدامة
على أن يربط بين هذه الفروع الآتي:
1. مدير واحد للمشروع تتوفر فيه القدرة العلمية العالية والخدمة الطويلة والتجويد المشهود في مجالات المشروع والعمل الميداني.
 2. المنهجية العلمية القائمة على منحى تداخل العلوم (interdisciplinary)
 3. الطرق والوسائل والتقنيات العلمية التي يتم اختيارها للدراسات.
 4. العمل الميداني الموحد الذي تتخلله المحاضرات التوضيحية والتفسيرية لمدير المشروع والمديرين الميدانيين المشرفين.
 5. لجنة إدارية وتنسيقية مكونة من رؤساء الوحدات المعنية بالمشروع في المؤسسات المكونة له والتي تضم:
 - جامعة وادي النيل، والتي يمثلها رئيس مجلس مركز دراسات وأبحاث الآثار
 - جامعة الخرطوم، ويمثلها رئيس قسم الآثار
 - الهيئة القومية للآثار والمتاحف، ويمثلها أمين أمانة الكشف الأثري.ذلك بالإضافة الى مدير المشروع ومستشاره.
 6. النشر الموحد الذي تعد مادته الفرق العلمية تحت اشراف مدير المشروع وتباشر لجنة الإدارة والتنسيق تنفيذه.
 7. الاتفاق الموحد على اختيار منطقة الإمتياز للمشروع كما تحدده قوانين الهيئة القومية للآثار والمتاحف وذلك بين لجنة الإدارة والتنسيق واللجنة العلمية.
 8. اختيار مقر دائم للمشروع. وقد تم الاتفاق في اللجنة العلمية على أن يكون المقر الدائم هو مركز دراسات وأبحاث الآثار بجامعة وادي النيل حيث يعقد معسكر تجميع التقارير واعادها للنشر وحيث تحفظ كل المادة المتصلة بالمشروع.
 9. التنسيق التام بين أعمال اللجنة العلمية ولجنة الإدارة والتنسيق عن طريق مقررين يتم اختيارهما من أعضاء هيئة مركز دراسات وأبحاث الآثار بجامعة وادي النيل ولجنة الإدارة والتنسيق.
 10. إجراء موسم عمل ميداني ابتدائي يجرى فيه استكشاف للجزء الجنوبي من منطقة الشلال الخامس.

أسفر المشروع عن تنفيذ مسح أثاري متكامل وتنقيبات أثرية نوعية للتعرف على آثار المنطقة وتوحيد الرؤى بين الفروع المختلفة المكونة للمشروع بإجراء دراسات أولية عن البيئة والثقافات التقليدية في المنطقة وعن إمكاناتها السياحية والتنموية ثم عقد معسكر موحد في مركز دراسات وأبحاث الآثار بجامعة وادي النيل لتجميع التقارير وتهيئتها للنشر.

وقد شمل العمل في الموسم الأول على الآتي:

أ. حفريات نوعية في أحد مواقع المقابر التلية.
ب. حفريات نوعية في أحد مواقع الاستيطان لفترة ما قبل التاريخ، أي ما قبل 3000 ق. م.

ج. إجراء مسح أثاري علمي دقيق (Walking Survey) لكل مناطق الجزء الجنوبي من منطقة الشلال أي بين قرى فتوار في الجنوب وزمامة في الشمال وهي تضم الأودية الكبرى الآتية: وادي الجداد، وادي البقر، وادي الرداد، وادي السنقي، وادي أبو سدير، كما تضم امتداداتها في الصحراء بعداً عن النيل لمساحة 8 كلم.

د. إجراء مسح أثاري للجزر الكبرى بداية بجزيرة كرنى ثم جزيرة العشير ثم جزيرة المستريحة ثم الأخريات.

هـ. دراسات بيئية تشمل الأودية ومناطق العمران والنيل والجزائر والصحراء.

و. التعرف على الإمكانات السياحية للمنطقة بكل أنواعها.

ز. التعرف على الثقافات التقليدية في منطقة الدراسة بالتركيز على مناطق الجزر.

بنيت خطة العمل هذه على ضوء الأسئلة الإستراتيجية العامة المطروحة والتي كانت مدعاة لقيام هذا المشروع في الأصل. بجانب العديد من الأسئلة الاستراتيجية والتي كان من أبرزها:

أ. هل توجد آثار نباتية في منطقة الدراسة أم أن النظرية التي تقول أن حضارة مروى جاءت امتداداً لحضارة نبتة لا تقوم على أية أسس علمية والذي نحن بصددده السودان بحضارتين قديمتين شمالية نوبية وجنوبية مروية؟.

ب. هل من سبيل لمحاولة فك رموز اللغة المروية من التاريخ اللغوي لمنطقة الدراسة، وكيف نستفيد من الواقع اللغوي المعقد الذي تتسم به هذه المنطقة في مسألة اللغة المروية؟.

ت. ما هي آثار ونتائج حملة الملك إزانا (عيزانا) ملك أكسوم على مملكة مروى في منتصف القرن الرابع الميلادي. وهل استوعبت هذه المنطقة بعضاً من القبائل النوبية التي حاربها إزانا وطاردتها كما يقول على نهر عطبرة حتى وصل النيل، ثم زحف إلى مدينة مروى الملكية منتصراً؟.

ث. ما هي آثار ونتائج الوجود المكثف لقبائل بني ربيعة بقيادة زعيمها عبد الله العمري في الصحراء الشرقية وعلى منابع خور كرسكو منذ منتصف القرن التاسع الميلادي، على منطقة الدراسة. مع العلم أن الجزء الشمالي من منطقة الدراسة كان وما زال هو أقرب النقاط على النيل لجلب ماء الشرب لمنطقة الذهب حيث نشطت قبائل بني ربيعة. ألا توجد أية تأثيرات لهذه الأنشطة التي لا شك أنها وصلت النيل وربما قطعتة إلى الغرب حيث مناطق الذهب في وادي السنقر والحاجية وغيرها؟.

ج. منطقة الدراسة كانت جزءاً من مملكة علوة المسيحية في العصر الوسيط (500 - 1500م). هل كانت المنطقة منطقة وسطى بين علوة والمقرة أم كانت مملكة قائمة بذاتها لفترات من ذلك التاريخ الطويل، وما هو الدور الذي لعبته المنطقة في الملكتين؟.

ثم استقبلت المنطقة هجرة في نهايات العصر الوسيط، هي هجرات مجموعات العنج. من هم، ومن أين جاءوا؟ وما تأثيرهم التاريخي، الثقافي، الاجتماعي، الديني، واللغوي، على منطقة الدراسة وعلى كل مملكة علوة. بجانب ذلك بني الموسم الأول للإجابة على بعض الأسئلة الرئيسية والتي ربما تستمر مطروحة لموسم آخر أو موسمين قادمين فهي:

أ. طبيعة العلاقة بين الأودية الكبرى والنيل على كل المستويات.

ب. استمرارية العمران أو عدمه في منطقة الدراسة عبر ما قبل التاريخ والتاريخ القديم والتاريخ الوسيط وما بعد الوسيط.

وقد تمثلت نتائج هذا العمل في الآتي:

أ. إجراء المسح الأثاري في كل المنطقة المختارة (320 كلم²) واكتشاف وتسجيل ودراسة 153 موقعاً تمثل كل الفترة الممتدة من بداية العصر الحجري الحديث وحتى الفترة الإسلامية الأولى لما قبل سيطرة الفونج في المنطقة.

- ب. إجراء مسح أثاري لجزيرة كرنى.
- ج. إجراء حفريتان نوعيتان، الأولى في الموقع رقم (1) بالقرب من وادي الخلفية جنوب الضيقة، والثانية إلى الجنوب الشرقي من وادي أبو حراز.
- د. وقد أفادت الحفريتان إفادات علمية غاية في الجودة والأهمية مما سيؤدي إلى مراجعة كثير مما كتبه الأولون عن هذه المنطقة بالأخص وعن التسلسل التاريخي للسودان في العموم.

الثقافات التقليدية:

اقتصرت الموسم الأول على التعرف على المنطقة وسكانها والأنماط الثقافية السائدة فيها وتراثها الشفاهي والممارسات الحياتية التقليدية التي تمارسها المجموعات السكانية التي تحدها جغرافياً الضفة الغربية للنهر الممتدة من الجول إلى زمامة وشرقاً من مبيريكة إلى الكربة، مجموعة الجزر من فتوار إلى العشير. والتي يمكن اعتبارها وحدة ثقافية ذات سمات وخصائص متشابهة. وبناء على ذلك تم رصد العديد من الجوانب الثقافية بالمنطقة والتي شملت على الأحاجي والحكايات الشعبية، القصص والأساطير حول المناطق الأثرية، الشعر التقليدي والغنائي، الروايات الشفاهية التاريخية، مزارات الأولياء والصالحين، العادات والتقاليد، الألعاب الشعبية، بقايا اللغات القديمة، والثقافة المادية، بالإضافة الى برنامج التوظيف السياحي لمنطقة الشلال الخامس والذي ضم العديد من المحاور مثل الدعاية والإعلان، التنمية المستدامة، البرامج السياحية، . كذلك شملت الدراسة على اعداد تقرير مفصل عن جيولوجية وجغرافية منطقة الشلال الخامس.

(3) مشروع آثار مروى الكبرى⁽⁸⁾:

كانت بداية مشروع دراسات مروى الكبرى بشكله الحالي حينما قررت جامعة الخرطوم عام 2000م تنشيط رخصتها للعمل الاثاري والحفريات والصيانة والترميم في مدينة مروى القديمة في أعقاب تصفية أعمال المشروع السوداني الألماني عام 1999م وتم تعيين البروفيسور علي عثمان محمد صالح مديراً جديداً للمشروع بقرار مجلس قسم الآثار ومجلس أبحاث كلية الآداب. وقد بدأ المشروع بإعداد إستراتيجية جديدة للعمل وفق أسئلة علمية جديدة كان أبرزها:

1. متى وكيف نشأت وتطورت مدينة مروى ؟
2. ماهى عوامل و مراحل نمو حضارة مروى إلى إمبراطورية ذات علاقات عالمية واسعة مع عالم البحر المتوسط؟.
3. كيف نتعرف على الشعب المروى و أين آثاره الدالة عليه؟
4. كيف ومتى ضعفت حضارة مروى؟
5. ماهى معالم الإستمرارية الثقافية في جزيرة مروى و منطقة الشلال الخامس عند ضعف قوة مروى و نشأة الممالك المسيحية فيه؟
6. ماهى العلاقة بين زوال قوة حضارة مروى وإنتشار الدين المسيحي فيها؟

على ضوء تلك التساؤلات أنشأ قسم الآثار جامعة الخرطوم مشروعاً بحثياً تحت مسمى «آثار مروى الكبرى- مشروع الضواحي الشمالية» ليضم بحوث طلاب الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراة) والعمل الميداني في مروى الكبرى (جزيرة مروى)، والتي تنضوي تحتها الضهير، والكربة، والبطانة الشمالية. وقد تمت دعوة كافة المشاريع الأجنبية العاملة في هذه المناطق للمشاركة في المشروع أعلاه، وذلك للتخطيط أيضاً لإنشاء جمعية جديدة أو مجموعة، لتنظيم ورش عمل وسمنارات ومؤتمرات تحت هذا المشروع في إطار المؤتمر العالمي للدراسات المروية الذي ينعقد كل أربع سنوات. عملت استراتيجية المشروع على تقسم منطقة الدراسة الى العديد من الأجزاء وفقاً لمحتوياته من خصائص وآثار. وهي كالآتي:

1. المنطقة الأولى: تقع ما بين مروى القديمة وقَدُو، وتميّزت طبيعتها بوجود أكوام ترجع للعصور الحجرية، وقد استمرت الحفريات الاختبارية فيها لمدة خمسة مواسم. يشكّل موقع الصُور واحداً من أهم هذه المواقع، وهو موقع استيطان يرجع للفترات الوسيطة والمتأخرة من العصر الحجري الحديث، وقد ضم دفنات أطفال في جرار، وتجمّع صناعات مشابهة لتلك في موقع الكدّادة وشُق الدُود وقلعة شنان بشندي.
2. المنطقة الثانية: تقع ما بين قَدُو وجبل أم علي شرق خط السكة حديد، في المنطقة المرتفعة من وادي الدان ووادي عيَّش. تحتوي هذه المنطقة على المئات من مدافن العامة في مروى، وقد احتوى واحد من هذه التلال المرتفعة على واحد وخمسين قبراً تلياً من الحجارة

- السوداء، والذي أطلق عليه «المجموعه الأولى» وعُرِّفَ بمسمى (AK) اختصاراً لاسم أقرب قرية من الموقع، وهي قرية العُكَّامة. وقد تم إجراء ست حفريات اختبارية في هذه المجموعة من المدافن
3. المنطقة الثالثة: تقع بين قَدو وجبل أم علي غرب خط السكة حديد، وتعرف بـ«شِبِيلِيَّة المَشْرَع»، وتحتوي على ثلاثة أكوام مرتفعة أشارت الأدلة السطحية إلى أنها ربما كانت مستوطنات ترجع للفترات المبكرة، والكلاسيكية، والمتأخرة من عهد مروي.
4. المنطقة الرابعة: تضم موقع جبل أم علي، وهو موقع إسلامي يشتمل على جبانة كبيرة مع أربع قباب للشيخ حامد أبوعصاية وأبنائه.
5. المنطقة الخامسة: وتعرف بـ«جبل الضيقة»، وتعرف أيضاً بـ«آثار الفترة ما بعد مروي»، وتضم قلعة كبيرة في قمة جبل الضيقة، مطلة على النيل، إضافة إلى مجموعات مختلفة من المباني الحجرية، وجبل آخر يضم أبراج مراقبة وكهف يحتوي على رسومات متعدده لفارس على حصان وجمال، إضافة إلى نجمة داوود.
6. تمتد المنطقة السادسة من الجزء الشمالي للضيقة بالقرب من جبل السنَّاري (شمال قرية الضيقة)، وتضم المباني الأخرى أسفل جبل المزموم (حوالي 3 كلم من قرية الضيقة) والآثار المروية في قرية الكِيتَّواب أسفل جبل أم بور (حوالي 13 كلم شمالي مروي القديمة).
7. أما المنطقة السابعة فتضم المَطْمَر، وتحتوي على جبانة إسلامية ضخمة مع قبة فريدة للشيخ عمر النَشِيؤ. ولم تُضمَّن المنطقة السابعة في التقرير المفصل للمشروع.
- أسفرت الأعمال الميدانية لهذا المشروع عن العديد من النتائج المهمة التي تسهم في فهم جديد لبدایات ونهایات مملكة مروي وشعوبها إضافة إلى الاستمرارية الثقافية بالمنطقة عبر العصور منذ العصر الحجري الحديث وحتى الفترة الإسلامية والتاريخ الحديث، ذلك بجانب تدريب وتأهيل الكوادر الوطنية من طلاب البكالوريوس والدراسات العليا بجامعة الخرطوم، وإلى الآن تم انجاز ست مواسم تدريبية لطلاب البكالوريوس بموقع وادي الدان، بجانب العديد من رسائل الدراسات العليا والتي شملت:

الاسم	الجهة	الدرجة
أحمد حامد نصر	جامعة شندي	ماجستير
مزمّل سعد إبراهيم	خاص	ماجستير
محمد البدري سليمان بشير	جامعة الخرطوم	ماجستير
ياسر علي محمد تاي الله	خاص	ماجستير
صفاء مصطفى نجم الدين	خاص	ماجستير
فتح الرحمن محمد عبدالرحيم	وزارة الثقافة	ماجستير
نهى عبدالحافظ عبدالعزيز	جامعة شندي	ماجستير

خاتمة:

وفقا لما تم مناقشته في هذه الورقة تبين لنا الدور الكبير الذي لعبته الأبحاث الميدانية للمدرسة الوطنية في آثار السودان، وهي ضرورة قصوى فرضها الوضع العام للسودان، الذي يحتوي على العديد من التفاعلات الفلسفية والثقافية من حيث الاختلاف الإثني والثقافي خلال الحقب التاريخية المختلفة، والتي يشكل مجملها ما يعرف بالثقافة السودانية.

عنى علم الآثار الوطني بدراسة التنوع الثقافي في السودان عبر العصور وفق رؤية محلية خالصة، وقد أسهمت البعثات الأثرية المختلفة في السودان في اكتشاف العديد من المواقع التي ترجع الى فترات مختلفة والتي كان لها اسهام كبير في معرفة الخصائص السياسية والتاريخية والثقافية للسودان خلال العصور، وبالرغم من ذلك، الا أن هناك العديد من جوانب القصور التي شابت تلك الأعمال خاصة في جوانب التفسير والتركيب الثقافي العام، وقد تبين أنه من الصعب وجود تفاسير صحيحة للحضارات السودانية باستخدام المناهج الفكيية للمدارس الأجنبية، لذلك كان لابد من علم آثار وطني يفسر ويجيب على كثير من الأسئلة المطروحة، خاصة فيما يتعلق بالجوانب الثقافية

للشخصية السودانية التي جسدتها الآثار. عليه فان علم الآثار الوطني يعني بدراسة الثقافة السودانية بكل مراحلها في الفترات التاريخية المختلفة من منظور محلي وهي المدرسة التي ناهها بها وأسس لها البروفيسور علي عثمان محمد صالح.

المصادر والمراجع:

- (1) البدري، محمد سليمان، و عثمان، علي محمد صالح. 2021. موقف الدراسات في آثار مروي القديمة ونتائجها الأولية، ورقة منشورة بمجلة الدراسات السودانية، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية بجامعة الخرطوم، مجلد رقم 25. ص 39-65.
- (2) Edwards, D. Osman, A. Tahir, Y. Sadig, A. and Soghayroun, I., On a Nubian frontier: landscapes of Settlement on the Third Cataract of the Nile, Sudan, in Azania: Archaeological Research in Africa, Vol. 47:4, 2012, pp450487-
- (3) Osman, A. 1981, Archaeology in the Sudan. In into 1980s. In Donald. I, Shinnie, P. and Williams, D. (eds), proceedings of the Eleventh Annual Conference of the Canadian Association, for African Study blished by Tantalus Research Ltd. Vancouver Canada, pp5272-
- (4) Osman, A. 1993, Nationalist Archaeology the Case of the Sudan. In Bonnet, C. (ed), Etudes Nubiennes, vol.1, pp225236-. Geneves, Switzerland.
- (5) Osman, A., and Edwards, D. The Archaeology of a Nubian Frontier, Survey on the Nile Third Cataract, Sudan. Bristol, 2012.
- (6) أجيّز المشروع من مجلس قسم الآثار في اجتماعه بالنمرة ج خ / آداب / أ ث 6 بتاريخ 10 يناير 1990، كما أجيّز من مجلس أبحاث كلية الآداب في اجتماعه الثاني للعام الدراسي 1989-1990 بتاريخ 18 يناير 1990. وقد صدر تصريح مؤقت من الإدارة العامة للآثار والمتاحف للعمل للموسم الأول بتاريخ 7 فبراير 1990 بالنمرة و ت أ / 3 ج / 1982 / سري، ثم صدرت رخصة العمل بتاريخ 20/11/1991 (ملحق رقم 3) بعد أن أكدت كلية الآداب التزامها بالمشروع بتوقيع عميدها الجديد في ذلك الحين.

- (7) علي عثمان محمد صالح، المشروع الوطني الآثاري المشترك لدراسة منطقة الشلال الخامس، دار الأنوار للطباعة والنشر 2001م.
- (8) علي عثمان محمد صالح، التقرير النهائي للمسح الآثاري لمشروع قسم الآثار في ضواحي مروي الشمالية 2004-2016م. جامعة الخرطوم_كلية الآداب_قسم الآثار.

إضاءة على كتابات البروفيسور علي عثمان محمد صالح العلمية المنشورة

قسم الآثار - كلية الآداب - جامعة النيلين

د. رحاب شهبول مصعب مساعد

مستخلص :

أسهم رواد سودانيون كثير في ترسيخ واثراء ونشر علم الآثار السودانى وسوف تتناول هذه الورقة نمودجا بارزا منهم يتمثل فى دور البروفيسور على عثمان محمد صالح - جامعة الخرطوم - كلية الاداب - قسم الآثار . وتركز الورقة على دور النمودج المختار فى تدعيم الجوانب المذكوره اعلاه لعلم الآثار وذلك من خلال استعراض اهم ملامح المنتج الفكرى والمساهمات الاكاديمية فى مجال علم الآثار وتمثلها اوراقه عن نتائج أبحاثه الاثرية او تلك التى ناقشت قضايا الثقافة السودانية عامة وثقافة منطقة النوبة خاصة والسياسات الثقافية للسودان واستراتيجياتها وكذلك فى العديد من الاوراق التى الفها منفردا أو/ و مشاركا اخرين فى مختلف مجالات علم الآثار، وكذلك اسس لعدد من المشروعات البحثية الناجحة اثمرت نتائج علمية كان لها اسهام مباشر فى تحديث المعرفة عن الآثار السودانية ودربت اعداد كبيرة من طلاب الآثار بمختلف الدرجات العلمية مثل مشروع مروي الكبرى ، مشروع المسح الاثارى والتراثى واللغوى والبيئى لمنطقة المحس ، والمشروع المشترك لاثار منطقة الشلال الخامس (انجب) . هذه المشروعات ساهمت فى رفد علم الآثار السودانى بمعلومات جيدة سيتم تفصيلها فى هذه الورقة بجانب مشاركات بروفيسور على عثمان فى المؤتمرات والسمنارات واللجان والورش المختلفه ذات الصله وقد ارسى دعائم علم الاثار الوطنى السودانى منهجيا وعلميا وعمليا وسوف يتم تفصيله فى ثنايا الورقة .ان رواد علم الآثار السودانين قد قدموا الكثير ويستحقون ان نرصد فى اوراق متتابعة جميع اعمالهم ومساهماتهم العلمية .

Abstract :

Many Sudanese pioneers contributed to the consolidation, enrichment and dissemination of Sudanese archeology, and this paper will address a prominent example of them represented in the role of Professor Ali Osman Muhammad Salih - University of Khartoum - faculty of Arts - Department of Archeology. The paper focuses on the role of the chosen model in strengthening the above-mentioned aspects of archeology by reviewing the most important features of the intellectual product and academic contributions in the field of archeology. It is represented by papers that discussed issues of Sudanese culture in general, the culture of the Nuba region in particular, and the cultural policies and strategies of Sudan, as well as in many papers that he authored individually or as a participant in various fields of archeology, as well as the foundations for a number of successful research projects that yielded scientific results that had a direct contribution to the modernization of knowledge. On the Sudanese archeology and trained large numbers of archeology students of various degrees, such as the Great Meroe Project, the Archaeological, Heritage, Linguistic and Environmental Survey Project for the Al-Mahas region, and the joint project for archeology research in the Fifth Cataract region (ANJP). These projects contributed to providing Sudanese archeology with good information that will be detailed in this paper, in addition to its participation in conferences, seminars, committees, and various relevant workshops. The pioneers of Sudanese archeology have made a lot and deserve to monitor in successive papers all their scientific works and contributions.

خلفية تاريخية:

في العام 1963م تم انشاء شعبة الآثار في جامعة الخرطوم واخذت على عاتقها مهمة تكوين وتجهيز خريجين جامعيين متخصصين في علم الآثار وبفضلها تمت أهم منجزات الآثار الحالية؛ وقد كان إنشاء شعبة الآثار تطور

طبيعى من فرع التاريخ القديم بكلية الآداب جامعة غردون حيث رأت الحكومة البريطانية المصرية فى العام 1947م أهمية وجود متخصصى تاريخ قديم خاصة بعد أعمال (اوليفر مايرس) فى عبكة وبعد حفريات (فوردر واركل) فى العام 1936م فى المسح الأثرى الأول فى النوبة السفلى .

وهناك مجالات من الضرورى أن يسهم بها القسم أو الأشخاص يكون لها أثر واضح وأن لا يكون إسهام مهنى من أجل الترقى أو نيل الدرجات ولكن يكون تأسيسا وتنمية لمجال علم الآثار باضافة الجديد أو حل المشكلات القائمة .ويمكن تلخيص ذلك فى بعض النقاط :

1. الانشاءات : وذلك بانشاء قسم او مدرسة او كلية او بتعزيد الاقسام القائمة وتذليل مصاعب التقدم فيها .
2. تأسيس مشروعات العمل الميدانى والمشروعات البحثية وانشاء علاقة بين المنشأة التى ينتمى اليها الطالب والجهات القائمة بالمشروع .
3. تدريب طلاب البكالوريوس وطلاب الدراسات العليا واستقطاب طلاب مجالات مختلفة للتخصص فى الآثار مثل طلاب كليات العلوم واللغات والفنون وغيرهم .
4. اقامة المؤتمرات ودعوة الجمعيات والجامعات المهتمة لعقدها فى السودان .
5. المشاركة فى الحياة العامة والمسائل الوطنية والاسهام فى التفكير وايجاد الحلول لمشكلات المجتمع والوطن الثقافية والسياسية .
6. المزاومة فى مجال التخصص عالميا وايجاد مؤطى قدم لاطهار التفرد والخصوصية وابراز الميزات الخاصة بباحثى الوطن الموهوبين . وفى الطليعة تخرج من هذا القسم السيد / ثابت حسن ثابت الذى تم تعيينه اول مدير لمصلحة الآثار ليتم بهذا سودنة هذه الوظيفة فى فترة الاستقلال وتخرج كذلك السيد / الدكتور نجم الدين محمد شريف الذى درس علم المصريات ثم تخصص فى اللغات القديمة مصرية وقبطية ورومانية .وقام الدكتور مكادم بتدريسة اللغة النوبية فى جامعة درم بانجلترا .

فى العام 1958م بدأت مشاركات الاثارين فى الحفريات باشتراك ثابت حسن ثابت مع فريكوثير فى حفريات موقع ودبانقا ثم كانت حملة انقاذ اثار النوبة وكان ثابت حسن ونجم الدين محمد شريف هما المسئولان عن نقل القطع الاثرية الى الخرطوم . واستمرت مشاركاتهم فى الاعمال الاثرية ومعهم

حسن باشا عبدالله. وعبد الرحمن ادم. وعكاشة محمد علي. وصبحي اسكندر. وفتحى صالح. والصادق صالح واسامة عبدالرحمن النور. اسهم قسم الآثار في تخريج المتخصصين الذين تم قبولهم به منذ العام 1963م واصبحوا هم لبنة اساسية للعمل في كافة مجالات الآثار العلمية والعملية في السودان فيما بعد وتنسب الى اساتذة وخريجي هذا القسم الكثير من الانجازات. وقد اسهم بجهد وافر في عدة مهام ومنها، اعداد الطلاب واقامة مؤتمرات مهمة مثل مؤتمر الحضارات الافريقية في العام 2000م وذلك في اطار احتفالات جامعة الخرطوم ببلوغها مائة عام. وكذلك قيام منظمة African Education Sience and Cultural Organization. (افسكو). ومن انجازات قسم الآثار الاخرى ان كثير من الاساتذة الموجودين او حتى الذين ذهبوا الى بلاد المهجر قد تخصصوا في افرع متنوعة مثل الدكتور السيد الانور عبدالمجيد والدكتور علي التجاني الماحي المتخصصين في علم الآثار البيئي (Environmental Archaeology). والدكتور المرحوم فيصل الشيخ والبروفيسور عبدالقادر محمود متخصصي اللغات القديمة (سودانية ومصرية). بروفيسور عبدالرحيم محمد خير متخصص في الفخار (pottery). وبروفيسور يوسف مختار الامين متخصص في العصر الحجري القديم وسيد الانور متخصص في علم النباتات القديم. ود. احمد محمد علي الحاكم تخصص في علم المصريات (Egyptology). وتخصص البروفيسور خضر ادم عيسى في علم المصريات والدكتور خضر عبدالكريم تخصص في علم ما قبل التاريخ. ود. حسن حسين ادريس تخصص في علم المتاحف. وهنالك من المتخصصين البروفيسور عباس سيد احمد والبروفيسور ابراهيم موسى والبروفيسور عمر حاج الزاكي والبروفيسور انتصار صغيرون الزين المتخصصة في الآثار الاسلامية ورغم ان القسم لم يخرج الكثير من العنصر النسائي. ورفد القسم علم الآثار بدفعات متميزة عملت في كافة المجالات ومنهم د. صلاح محمد احمد منسق المشروع القطري ود. كباشي حسين قسيمة جامعة دنقلا و عبدالحليم بابو فاتح الذي عمل سفيراً للسودان بوزارة الخارجية .

الفكرة والتنفيذ:

علم الآثار الوطني والأعمال الميدانية :

البروفيسور علي عثمان محمد صالح احد علماء الآثار السودانين الرواد الذين قدموا الكثير من العطاء المشهود من اجل علم الآثار وشهدت بذلك

مؤلفاته العديدة التى يتناول سردها هذا المقال وكتب كثيرا من التقارير العلمية التى تعقب الاعمال الميدانية التى يقوم بادارتها والمشاركة فيها ويمتاز هذا العالم بالقدرة على اقتراح الافكار والاقدام على تنفيذها . مثال ذلك وضع الاسس لافرع فى علم الآثار لم تكن ضمن مقررات شعبة الآثار - جامعة الخرطوم , القسم الرائد لآثار اقسام الآثار التى انشئت بعده فى عدد من الجامعات السودانية . ومنها علم الآثار الاسلامى وعلم الآثار الوطنى هذا العلم الذى اجتهد نظريا وعمليا فى جعله مادة تدرس وتمارس بعقول وايادى وطنية وقد كتب وحاضر ونشر فى ملتقيات وندوات ولقاءات عديده بهذا العلم الذى بشر بثمراته العظيمة التى سيجنيها السودان فهما خالصا لحضارته نابع من ابناء الوطن وفكرهم وتوقهم الشديد ليكونوا مستكشفى ذاتيتهم وهويتهم عوضا عن ان يقوم بهذا اجانب (ربما سمعوا عن السودان فى عام تخرجهم من الجامعة وحضروا للتنقيب فيه رغبة فى احراز درجات علمية او لظروف اخرى.) ونشر ورقه بعنوان National Archaeology – The case of Sudan.

وقد قدم الدعوة لكل العاملين فى حقل الآثار السودانية من ابناء الوطن بان يباشروا اعمالهم الاثرية فى ارجاء السودان الممتد ليثبتوا جدارتهم واستحقاقهم للانتماء لهذه الحضارة . وكان البروفيسور على عثمان قدوة فى ذلك فقام بتشكيل فرق عمل ميدانى اثرية وطنية على امتداد سنوات مسيرته العلمية الحافلة نفذت معه مشروعات اثرية رائده. استنهض بها همم الدارسين والمهتمين وازال بها حجب الرهبة والتردد فى ارتياد مجال صعب فبات من الممكن شق الطريق بواسطة اللاحقين من الباحثين .

بداية ذلك كان فى نهاية الثمانينات من القرن العشرين اذ تبلورت لدى رائدنا الذى نال انذاك درجة الدكتوراه فكرة البدء بمشروع اثارى وطنى بمنطقة المحس وبعد التخطيط اطلق عليه اسم (المسح الاثارى والتراثى لمنطقة المحس) وكان قد اعد اوراق متتالية لتكون الاطار العلمى والعملى للقيام بالمهام الميدانية للمشروع والاوراق هى :

- أ. الورقة الاولى خطة المشروع : وشملت المعلومات المعروفة عن اثار المنطقة من الابحاث والدراسات كما شملت تفاصيل خطة المشروع مصحوبه بعدد كبير من الصور الفوتوغرافية والخرائط .
- ب. الورقة الثانية : بعنوان الآثار والمجتمع .

ج. الورقة الثالثة : المذكرة التفسيرية : وتناولت - بالإضافة الى ما ورد في الورقة الثانية - خطط الاثاريين عند الشروع في تأسيس عمل بحثي ما , وقد قدمت هذه الورقة لاعضاء فريق العمل الدائمين وغير الدائمين ولمجموعة من العلماء والمهتمين .

د. بحث بعنوان (علم الآثار الوطنى فى السودان) : وهو عبارة عن تأطير نظرى شامل للمشروع ولاهدافه ومراميه . وقد الحق بهذا البحث مذكره المشروع الاولى والمذكره التفسيرية كملحق اول وملحق ثان .وقد اعد هذا البحث بغرض عرضه على اساتذه وعلماء الآثار السودانية خاصة للمناقشه والتنقيح واثناء البحث الذى تناول الذى تبنى منهج العلوم المتداخله .

هـ. الورقة الخامسة : المذكرة الموجزه . والتى كتبت بعد الموسم الاول وتناولت اهمية الزمن الذى بدأ فيه العمل .كما تضمنت المفهوم الوطنى للمشروع باعتباره مثالا حيا لعلم الآثار الوطنى يلبى احتياجات المجتمع السودانى مع التزامه وتقيدده بقوانين علم الآثار العام .

وهذا المشروع اثمر الكثير من النتائج الايجابية على كل الاصعده المتطلبة من مشروع علمى.

العديد من التقارير الاولى , رسائل جامعية على مستوى درجات الماجستير والدكتوراه وتم تنويج ذلك بالسفر الشامل الموسم The Archaeology of a Nubian Frontier

Survey on the Nile Third Cataract Sudan — ويمثل هذا الكتاب ثمرة جهد استمر منذ مطلع التسعينيات فى المشروع انف الذكر . وشارك فيه الكاتب ديفيد ادواردز واخرين كانوا ضمن فرق العمل الميدانى كما ان هنالك عدة كتب هى الان تحت الطبع .

أما المشروع الثانى المهم جدا فهو مشروع مروي القديمة - المدينه الملكية وصروحها وضواحيها الشمالية : التعريف , الصيانه , الترميم والتأهيل للسياحة الثقافية . وقد درس المشروع فى مواسم عمل ميدانى عديده بفريق وطنى وباحثين وطلاب بمختلف المستويات والدرجات العلمية ؛الفترة المروية الغنية جدا بالمعلومات والتى زادنا البحث فيها باننا ما زلنا نجهل الكثير عنها وعن موروثها الحضارى وقد خصص لها بروفيسور على عثمان كثيرا

من الجهد والتخطيط واستغرق فيها ازمانا من المتابعة والبحث حتى اتحف المجتمع الاثارى خاصة وجميع المهتمين من اهل السودان بمكتشفات جديده ومعلومات وادله يجيب بها على تساؤلات متعددة شرعت ابوابها في بداية العمل وكانت عناوين الدراسات الرئيسية كما يلي :

1. المدينة الملكية في مواسم كثيرة جدا وصورها من المعابد والحمام الملكي .
2. العمران المجاور للمدينة الملكية.
3. منطقة صناعة الحديد .
4. الاهرامات , مدافن الملوك والملكات .
5. الاهؤامات . مدافن الامراء والوجهاء .
6. التل الترابي الضخم (الكوم الغربى) .
7. مستوطنات العصر الحجري المتأخر .
8. مواقع قدو.
9. محجر جبل ام على.
10. موقع مستوطنة الضيقة.
11. مقابر ما بعد مروي (350 - 500 م) .

كذلك وضع لجنة مشروع دراسة اثار الشلال الخامس وهو تحت اسم المشروع الوطنى الاثارى المشترك لدراسة الشلال الخامس وThel Archaeological National Joint Project to the 5th Catract Region ANJP وهو مشروع ميدانى بحثى شامل لاثار المنطقة وبيئتها وانسانها وثقافتها التقليدية بغرض انشاء نموذج علمى دراسى حديث فى الدراسات الانسانية والاجتماعية السودانية يضى تاريخ منطقة مهمة جدا فى وادى النيل الاوسط , لعبت دورا رئيسيا فى صياغة تاريخ وثقافة وهوية السودان وهذا المشروع ميدان صالح لتدريب الطلاب وتأهيلهم فى مجال الآثار والعلوم الانسانية والاجتماعية الاخرى . ويتكون هذا المشروع من اربعة فروع رئيسه هى :

- فرع الدراسات الاثرية .
 - فرع دراسات البيئه .
 - فرع دراسات الثقافات التقليدية .
 - فرع دراسات السياحة والتنمية المستدامة .
- وفى كل فرع تم انجاز العديد من المهام وقد كتب اعضاء الفريق الاثارى وعلى رأسهم البروفيسور على عثمان , وكتب البروفيسور يحي فضل طاهر

عن الفرع الثالث وكتب الدكتور احمد المعتصم الشيخ عن الثقافات التقليدية للمنطقة وكتب عن السياحة والتنمية المستدامة الدكتور علي عثمان العراقي . وجميعهم اعضاء في اللجنة العلمية للمشروع .

اما في مجال الثقافة فلا يتسع المجال للاسهاب في اوراق البروفيسور علي عثمان باللغتين العربية والانجليزية ولذلك ساكتفى بذكر بعض العناوين للاوراق العلمية والمقالات التي تحدثت عن الثقافة ومنها:

- الثقافة السودانية - الماضي والحاضر .
- ماهية الثقافة المادية كمصطلح علمي .
- الثقافة والاعلام الثقافي في السودان - التطور التاريخي والواقع المعاش وتطلعات المستقبل.
- التخطيط الاستراتيجي للسياسات الثقافية الوطنية .
- دروس في حوار الحضارات : بعض اهم الدراسات والمفاهيم التي شكلت الخلفية الحضارية والثقافية عن السودان لدى الولايات المتحدة الامريكية .
- المتحف الثقافي مستودع للشخصية السودانية .
- رؤية استراتيجية للعمل الثقافي في مرحلة السلام.
- الندوة العلمية حول تعميق الوعي واحترام الخصوصيات الثقافية والتنوع الثقافي في الوطن العربي والاسلامى . المسارات المتبعة للمصادقة على الاتفاقيات المعنية بموضوع الندوة: حالة السودان
- اتفاقية اليونسكو لحماية وتعزيز اشكال التعبير الثقافي : الخلفية التاريخية والمفاهيم وانعكاساتها على السياسات الثقافية في السودان.
- الموروث الثقافي في السودان عبر القرون .

- The Originality of Sudanese Cultures -

- National Schools of Thought in Sudan`s Culture

وقد كتب البروفيسور علي عثمان عدة مقالات متتابعة في المجلة العلمية الرصينه مجلة (حروف) وكانت سلسلة من ثلاث مقالات باسم خواطر حول اصول الثقافة السودانية . وكتب ايضا مقالا ضافيا بنفس المجلة في احد اعدادها باسم مناهج دراسة الثقافات وضرورة التجديد - نظرية الحوار منهاج افضل لدراسة الثقافات السودانية .

ايضا كتب البروفيسور عن اثار وتاريخ السودان ومن بعض مقالاته

ما يلي :

- السودان الجغرافيا والحضارة والتاريخ
- مشروع التنمية السياحية والآثارية في السودان (وثيقة المشروع).
- اتفاقيات السلام التي صنعت - السودان عبر القرب التاريخية من 23ق.م الى 2005 م
- The Nile Valley Countries Continuity and Change
- Sudan Archaeology 1925 – 1975
- ومن المعلوم في اوساط كافة الاثاريين الدور البارز الذي قام به بروفيسور على عثمان في ارساء قواعد علم الآثار الاسلامى وجعله فرعاً اساسياً من فروع علم الآثار بالسودان ووضع له اركان متينة يدرس بها في هذا الاطار مع خصوصية تاريخ واثار الاسلام في السودان . وكتب عن ذلك باللغتين العربية والانجليزية . ومن منشوراته في هذا الجانب
- المراحل الزمنية للاسلامة في السودان . المواقع الاثرية والاحداث السياسية المرتبطة بها .
- Islamic Archaeology in the Sudan .
- وقد خصص البروفيسور عدداً من الاوراق للمناهج الاثرية في الجامعات ومن اهمها :-
- دور اقسام الآثار في نشر الوعي الاثرى في البلاد العربية .
- Archeology of Sudan.
- Why Bones in Archaeology with Especial Reference to Nubia .
- وغيرها من موضوعات متنوعة حفظها له طلابه جميعاً وقد درسوها وهم يتطلعون للاخذ من الغلم الوافر الذي يقم له استاذهم دون من ولا كل .

كتابات مخصصة :

كتابات مخصصة : - خصص البروفيسور على عثمان كثيراً من المقالات والمنشورات عن منطقة النوبة التي ينتمى اليها فهو متشرب بثقافتها المحلية ويتحدث بلسانها وتكون وجدانه في تضاعيف نشأته ورفقة الاهل من تراث ارض النوبة فكان نتاج ذلك اعمال فكره في قضاياها وخصوصيتها في ماضيها وحاضرها

واستعرض هنا بعضا من الكتابات المخصصة للمنطقة والتي اخذت حيزا مهما على قائمة الانتاج العلمى لبروفيسور علي عثمان

- New Kingdom and Kushite Sites in the Third Cataract Region , Sudanese Nubia
- A sketch of Political History of the Medieval Nubian Kingdoms.
- The Post - Medieval Kingdom of Kokka : A means of A Better Understanding of the Administration of the Medieval Kingdom of Dongola.
- Nubia The Origins and Meanings .
- Medieval Nubia : Retrospect s and Introspects.
- Eskale Water Wheel in the Eyes of A Nubian .
- Nubian Culture in the 20th century comments on Session 15 .
- Archaeology and Settlement in the Third Cataract Region .
- Abu Fatima ; A Nubian Settlement From the Times of Kerma to Modern Times.
- Place – Names as Evidence of History ; The Case of Historic Nubia and its Language.

- القضية النوبية في اطار القومية السودانية

- مشكيلة ونورى : المعانى والدلالات

اما التقارير العلمية عن نتائج الاعمال الميدانية وبصفته مديرا للمشروعات التى ورد تفصيلها سابقا فقد نشرت في المجالات المتخصصة وفي التقارير المعدة للجامعة والهيئة القومية للاثار والمتاحف والجهات والجهات ذات الصلة بالعمل الحقلى الاثارى حكومية او اكاديمية وذلك لكل موسم عمل مما يجعل المجال يضيق عن اعادتها وسترده عناوينها في القائمة الملحقه بنهاية البحث . والحديث عن العمل الميدانى يطول لانه من المهام التى تتطلب بجانب القدرات العلمية الجيدة التى لا شك انها اهلته ليضطلع بتلك المهام : فقد ساندتها الكثير من الصفات الشخصية الضرورية للقائد حتى يستمر العمل الحقلى ويثمر نتائج مثمرة كالتى رصدناها في هذا البحث . وهو قد حباه الله بصفات يسرت له التعاطى مع المواقع الاثرية ومع واقع الحال الذى يحيط بالموقع وظروفه ؛ منها مثلا القدرة على التكيف مع خصوصية كل منطقة وكذلك

القدرة على التعامل المسئول والراقي مع اهالى اى منطقة يتوجه اليها من احترام لتقاليدهم وعاداتهم وتقديرهم واظهار الود لهم وكذلك التحلى بثقافة عالية عن المنطقة وسكانها وجمع المعلومات حول طبيعتهم واشعارهم بانهم محور مهم جدا فى العمل اضافة لسعة الصدر عند تلقى استفساراتهم عن اسباب قدومك ومعك فريق للتنقيب فى ارضهم وهذه الصفات ايضا يتحلى بها البروفيسور مع فريق العمل وكل من يقدمون خدمة للمجموعة العاملة فى الحقل ولا يتوانى فى اشراك اعضاء الفريق لترك انطباع ايجابى لدى السكان وكذلك حثهم للتواصل الايجابى مع المجتمعات المحلية والاستفادة من ذلك فى الفهم العام للاشكالية التلاثرية التى ينشدون الاجابة على تساؤلاتها المطروحة . ياتى ذلك داعما لفكرة باحث الآثار الوطنى ويثرى حظه من الفهم العميق الواعى للآثار فى السودان داخل محتواها الثقافى .

اما ما قدمه بصفته خبير لدى اليونسكو فقد ترأس الكثير من المؤتمرات العامه وورش العمل فى الملتقيات واللجان وترأس الوفود ونشرت له تقارير فى قضايا متخصصة كانت هى محور نشاط اليونسكو وقاد فيها الجانب السودانى بحنكة واقتدار مكنتاه من جعل الاطروحات السودانية تلقى حظها من التقدير والاهتمام فى هذه المحافل . بجانب عدة قضايا كتب عنها باسهاب وبمعرفة الاثرى الذى الم بعلوم الماضى مما يفتح بصيرته لادراك وقائع الحاضر والنظر بعين مستبصرة الى المستقبل . ومن ذلك ان البروفيسور على عثمان قد كتب عدة مقالات فى سلسلة اطلق عليها اسم (شئون سودانية) وهى مقالات يجدر بكل قارئ الاطلاع عليها واتت تحت العناوين الاتية : - دعوة للاتفاق على معانى ومدلولات ومضامين ” المركز — الهامش ” ، - التنوع — التعدد ” . ” الدين — الدولة ” فى سياسته السودانية .

الخاتمة :

هذه النبذة القصيره تمثل غيضا من فيض فيما قدمه العلم الجليل البروفيسور على عثمان محمد صالح من اجل العلم والوطن وحرى بنا ان نوثق هذه الجهود ونثمنها عاليا اجلالا لجهوده وتقديما للنماذج المشرفه من ابناء الوطن للاجيال القادمة ليعلموا كم من نفر يبذلون وسعهم ويسكبون عصارة فكرهم وجل جهدهم لاجل اعلاء شأن السودان وتعميق هويته المتفرده حبا له وتقديرا . لذا وجب علينا ان ننشر ونعمم فائدة ما

في هذه المنشورات من علم و من ثقافة وكلما ابرزنا قيمة علماءنا كلما وجد
الابناء معنى جميلا وتعودوا ان يحملوا الوطن في حدقات العيون لتصبح فينا
سيرتهم قدوة وعلومهم نبراسا.

لمحة موجزة ومفصلة بأسلوب مرجعي لمنشورات البروفيسور علي عثمان
باللغتين العربية والانجليزية

PAPERS PUBLISHED IN REFREED INTERNATIONAL JOURNALS:

- Ali Osman: "New light of medieval Nubia" Nyama akuma, journal of the society of African Archeologists (SAFA): No. 10. Pp: 45 – 47, University of Calgary. Alberta, Canada. (In English).
- Ali Osman, Jay Spaulding, Ahmed El-Mutasim: "A Colophon from 18th Century Sennar". Africanae. No. 6, pp: 13 – 20, 1980, Evan Ston. USA. (In English)
- Ali Osman: "Role of Archeology departments in the spread of archeological awareness in the Arab countries ", Majalat El-Yamen El-Sa`eed, No. 13, pp, 173 – 191, 1986, University of Sana`a. Yemen (In Arabic).

علي عثمان محمد صالح: « دور أقسام الآثار في نشر الوعي الآثاري في
الأقطار العربية مجلة اليمن السعيد، جامعة صنعاء 1986م، ص 191 – 173،
ص: 13 العدد رقم 13

- Ali Osman and David Edwards: "University of Khartoum Mahas Surveym Nubia: 1990 – 1992 Field seasons" Nyama akuma 38: 63 – 66. 1993. (In English).
- Ali Osman and David Edwards: "The Archaeology of Arduan island – Mahas Survey 2000" Sudan & Nubia. The Sudan Archaeological Research society, bulletin no 4, p: 59 – 70, the British Museum, London, (In English).
- Ali Osman and David Edwards: "New Kingdom and kushite sites in the Third Cataract Region, Sudanese Nubia" Göttinger Miszellen, GM 182, pp: 17 – 30, 2001. Göttinger seminar für Ägrptologie und Koptologie, Germany. (In English).

- Ali Osman. "The clash and dialogue of civilizations between the east and the west: A new look". Majalat El-Ma`rifa. Year 42. No 478, pp: 145 – 162, July 2003, the ministry of culture, Arab republic of Syria. (In Arabic): as:

. ص 42 علي عثمان محمد صالح: «صدام وحوار الحضارات بين الشرق والغرب: رؤية جديدة» مجلة المعرفة. السنة . وزارة الثقافة. الجمهورية العربية السورية. 2003. يوليو 162 – 145 ص:

- Ali Osman: "Archaeology and settlement in the Third Cataract Region during the Medieval and post Medieval periods" AZANIA, Journal of the British Institute in Eastern Africa. Vol. XXXIX, pp: 34 -49, 2004, Kenya. (In English).
- Mona Abdeen, Hamad Mohamed Hmdeen and Ali Osman: "Tethering Stones from the Eastern Bank of the Third Cataract Region, Northern Sudan" Sudan & Nubia, Bulletin No, 23, 2019.

2- PAPERS: PUBLISHED IN REFREED LOCAL JOURNAL:

• Ali Osman: "On the origin of Sudanese culture" Mujalat El- Thagafa El- Soudaniya: a. No. 15. pp: 64 – 69, 1980: Ministry of Culture and Information. Sudan (In Arabic) b. No. 16, pp: 39 – 54, 1980: Ministry of Culture and Information. Sudan (In Arabic)

c. No. 18, pp: 32 – 38, 1981: Ministry of Culture and Information. Sudan (In Arabic). As: علي عثمان محمد صالح: «حول أصول الثقافة السودانية» مجلة الثقافة السودانية: . وزارة الثقافة والإعلام. السودان. 1980. (69 – 64) 15. أ- رقم . وزارة الثقافة والإعلام. السودان. 1980. (45 – 39) 16 ب - رقم .. وزارة الثقافة والإعلام. السودان 1981 (38 – 32) (18. ت - رقم)

• Ali Osman: "Culture Dialogue as a method to study the Sudan Culture" Mujalat El- Thagafa El- Soudaniya, No. 22, pp: 5 – 16, 1986: Ministry of Culture and information, Sudan. (In Arabic). As:

علي عثمان محمد صالح: «الحوار الثقافي كوسيلة لدراسة الثقافة السودانية». مجلة الثقافة السودانية. رقم 22 (5. – 16) .

Ali Osman: "Approaches of cultural studies and necessity for their innovation: Cultural Dialogue a better approach for the study of Sudan Culture" Mujalat Huroof. No. 2, pp: 39 – 49, 1991, University of Khartoum, Sudan. (In Arabic). As «مناهج دراسة الثقافة وضرورة التجديد: الحوار الثقافي منهاج أفضل لدراسة الخرطوم السودان 1991، 49 – 39، ص ص: 2 الثقافة السودانية» مجلة حروف. رقم

- Ali Osman and Salah Mohamed: "The Sudan its Geography, History and Civilization" Mujalat Mhaiwr, No. 1, pp: 112 – 119. 1992. Ahliy University, Omdurman, Sudan. (In Arabic) as: علي عثمان محمد صالح وصالح محمد أحمد: «السودان: جغرافيته، تاريخه وحضارته» مجلة محاور. رقم . الجامعة الأهلية أمدرمان. السودان. 1992. 119 – 112، ص ص: 1-3

PAPERS PUBLISHED IN REFREED INTERNATIONAL CONFERENCE PROCEEDINGS:

- Ali Osman: "Archaeology in the Sudan" In. Into 1980s. proceedings of the Eleventh Annual Conference of the Canadian Association for African Studies: ed. By Donald I. Ray and peter Shinnie and Donovan Williams, pp: 52 – 72, 1981, Tantalus Research Ltd. Vancouver Canada. (In English).
- Ali Osman: "Medieval Nubia: Retrospects and Introspects" In: New Discoveries in Nubia, pp: 69 – 92, 1982, Leiden, Holland. (In English).
- Ali Osman: "The post Medieval kingdom of Kokka: A means for better understanding of the administration of the Medieval kingdom of Dongola, In: Nubian Studies; ed. By J.M. Plumley, pp: 184 – 197, 1982, Aris, London, United Kingdom. (In English).
- Ali Osman: "scientific definition of Material culture". In: series No. 4 of the Folklore Center of the Gulf states. Material Culture, Arts and Crafts: pp: 87 – 106, 1985, Doha, Qatar. In Arabic as:

مركز التراث لدول الخليج، الثقافة المادية والفنون 4 علي عثمان محمد صالح: « ماهية الثقافة المادية» في سلسلة رقم م. الدوحة قطر. 106. 1985. 87 والحرف. ص ص:

- Ali Osman: "Islamic Archaeology in the Sudan", In: Nubische Studien: ed. By Martin Krause, pp: 347 – 358, 1986, Verlage Phillip von Zamborn, Mainz. Am Rhein. Germany. (In English).
- Ali Osman: "Nubian Culture in the 20th century" In Nubian Culture past and present: ed Tomas Hagg, pp: 419 – 431, 1987, Stockholm, Sweden. (In English).
- Ali Osman: "The folklore of Archaeological sites a case study from Nawri in the Third Cataract Region" In: An African commitment: Papers in the Honor of peter Lewis Shinnie. Ed. By Judy Sterner and Nicholas David, pp: 312 – 334, 1992. University of Calgary, Alberta, Canada. (In English).
- Ali Osman: "Approaches of cultural Studies: the role of Environment, the society and historical background in their formation" In: The Islamic Approach and Behavioral and Educational Disciplines. Papers of the fourth Islamic thought. Khartoum, Jn. 1987, ed. By El-Tyeb Zean El-A`bdeen, pp. 407 – 428. 1992, the international institute of Islamic thought. Virginia, USA. (In Arabic), as:
- علي عثمان محمد صالح: « مناهج دراسات الثقافة : دور البيئة والمجتمع والخلفية التاريخية في تركيبها في: المنهج الإسلامي م. تحرير: الطيب زين العابدين. 1987 والعلوم السلوكية والتربوية أوراق مؤتمر الفكر الإسلامي الرابع. الخرطوم يناير . المعهد العالمي للفكر الإسلامي. فريجينيا الولايات المتحدة الأمريكية. 1992، 428 – 407 ص ص:

- Ali Osman: "Nationalist archaeology. The case of the Sudan". In Etudes Nubiennes. Ed. By Charles Bonnet. Vol. 1, pp: 225 – 236, 1993. Geneves, Switzerland. (In English).

- Ali Osman: "The role of Arab and Muslim travelers in archaeological discoveries in the Sudan" In: Sudan and Africa in writing of East and West travelers" ed. By: Nuri El- Jarah, pp: 377 – 392, 2006, El-Siweadi for publication. Abu Dhabi, United Arab Emirates. (In Arabic); as:
- علي عثمان محمد صالح: دور العرب والرحالة المسلمين في الكشوفات الأثرية في السودان « في: السودان وإفريقيا في . السويدي للنشر. أبو ظبي 2006. 377 – 392 كتابات الرحالة من الشرق والغرب. تحرير: نوري الجراح. ص ص: الإمارات العربية المتحدة. 4-

PAPERS PUBLISHED IN REFREED LOCAL CONFERENCES PROCEEDINGS:

- Ali Osman: "The Nile and the Nubians" In the Nile Valley countries: continuity and change, vol, 1, ed. By. M.O. Beshir, pp: 123 – 142. 1984. Institute of African and Asian studies, University of Khartoum. Sudan. (In English).
- Ali Osman: "Historical Archaeology: an African viewpoint", In the Nile Valley countries: continuity and change, vol. 2. Ed. By: M.O. Beshir, pp: 59 – 71, 1984. Institute of African and Asian studies, University of Khartoum. Sudan. (In English).
- Ali Osman: "The Sudanese Culture: Past and present" In: The Sudanese Culture, ed. By: Ali Osman Mohamed Salih and El-Bashier Sahl, pp: 16 – 38, 1990, Khartoum University press, Sudan. (In Arabic): as:
- علي عثمان محمد صالح: «الثقافة السودانية الماضي والحاضر» في الثقافة السودانية تحرير علي عثمان محمد ، الخرطوم، مطبعة جامعة الخرطوم. السودان. 1990، 38 – 16 صالح والبشير سهل، ص ص • Ali Osman: "Some of the most important studies and theories which formed a better American vision on the Sudan Culture and Civilization" In Sudanese American Relations, Middle East and African studies center, pp: 47 – 61, 2003, Khartoum, Suda

n (In Arabic) as:

علي عثمان محمد صالح: «بعض أهم الدراسات والنظريات التي شكلت منظور أفضل للثقافة والحضارة السودانية عند 47-61 الأمريكيين» في: العلاقات السودانية الأمريكية، مركز الدراسات الإفريقية والشرق أوسطية. ص ص: الخرطوم السودان.

- Ali Osman: “The discovery of Ezana’s capital in the heartland of Meroe”. Nubian Archaeology in the XXI first Century, Proceeding of the Thirteen International conference for Nubian studies, Neuchâtel, 1st – 6th September 2014.
- Hamad Mohamed Hamdeen and Ali Osman: “The role of Mollusca in ancient Nubia and the Sudan: Archeological and Ethnoarchaeological approach”. Nubian Archaeology in the XXI first Century, Proceeding of the Thirteen International conference for Nubian studies, Neuchâtel, 1st – 6th September 2014.
- Ali Osman: “Archaeology and settlement in the Third Cataract region. Abu Fatma: A Nubian settlement from the Kerma period to modern times”.

علي عثمان محمد صالح. إعادة قراءة وصف ابن سليم الأسواني لبلاد النوبة على ضوء الدراسات الميدانية الحديثة لمشروع المسح م. جامعة الخرطوم، كلية الدراسات العليا وإدارة البحث العلمي والعلاقات الثقافية، 1990 – 2012 الآثار والتراث لمنطقة المحس م. 2013 المؤتمر السنوي للدراسات العليا والبحث العلمي، الدراسات الإنسانية والتربوية. المجلد الثاني.

5 – UNPUBLISHED CONFERENCE PAPERS:

- Ali Osman: “Contested Boundaries and shifting solidarities: the case of Nubia from 1899 – 1994”, In the International conference of sociology, under the theme: Cultural Boundaries, University of Belfield Germany 1994. ق. م إلى 23 - علي عثمان محمد صالح: إتفاقيات السلام التي صنعت السودان عبر الحقب التاريخية من 1 م. 2005م ورقة مقدمة للملتقى الفكري الأول في

إطار الخرطوم عاصمة الثقافة العربية 2008

- Ali Osman: "the historical Geography of the Eastern Bank of the third Region" Proceeding of the fourteen International conference for Nubian studies, Paris 2018.
- Ali Osman: "The Nubian Vernacular Architecture during the Medieval and post Medieval periods", presented to the International conference of vernacular Architecture as a frame of life in Historic and African communities: The chair for History and Architecture and Urbanization, Berlin Institute, 2019.
- Ali Osman: "Nubian Heritage and personal memories: oral history of a half century of archaeological research". In Nubian Heritage workshop, Faisal center, Holland, 2020.

6- MAHAS SURVEY ARCHIVE :

- Ali Osman: A Note of information: The Ottoman period in the Sudan: New Archaeological Discoveries.
- Ali Osman and David Edwards: The Mahas Survey: Interim Report and Site Inventory: seasons 1990, 1991, 2000, 2004. 300 pages 2005. University of Cambridge community service print room. Cambridge, England. (In English).
- Ali Osman and Azhari Mustafa Sadig: Archaeology and Ancient Settlement in the Mahas Region, 40 A-4 pages, 2005, Khartoum. Sudan. (In Arabic) as:
- صفحة 40 علي عثمان محمد صالح وأزهري مصطفى 2005. صادق: الآثار والعمران القديم في منطقة المحس الخرطوم السودان
- 7- PUBLISHED REPORTS:
- • Ali Osman: The Archaeological National Joint Project (ANJP) to the 5th Cataract region: first season (222001/ 7/22 – 6/) Field report. 94 (A-4) pages, 2001. Dar El-Anwar, Damascus, Syria, (In Arabic).

- 22/6 علي عثمان محمد صالح: المشروع الوطني المشترك لدراسة

الشلال الخامس: التقرير الميداني للموسم الأول () دار الأنوار سوريا. 2001 / 7
22 /

8- . PUBLISHED BOOKS:

1. Ali Osman and El-Bashier Sahl (editors): A Biography of writer Jamal Mohamed Ahmed: 180 pages, 1988, Khartoum University press, Sudan. (In Arabic) as:
مطبوعة جامعة 1988 صفحة 180 علي عثمان محمد صالح والبشير سهل (محرران): في سيرة كاتب سرّة شرق، الخرطوم. السودان .
 2. Ali Osman and El-Bashier Sahl (editors): In the Sudanese Culture: 140 pages, 1990 Khartoum University press, Sudan. (In Arabic) as:
مطبوعة جامعة 1990 صفحة. 140 علي عثمان محمد صالح والبشير سهل (محرران): في الثقافة السودانية. الخرطوم. السودان .
- Ali Osman and David Edwards: The Archeology of a Nubian 3-
Frontier, Survey on the Nile Third Cataract, Sudan. Published in 2012 by
.Mauhaus Publishing

9- UNDER PUBLICATION BOOKS:

- 1- Ali Osman: Historical Archaeology in the Sudan
- 2- علي عثمان محمد صالح: مقدمة في السياحة
- علي عثمان محمد صالح: الثقافة السودانية الجامعه3.

المراجع:

تم الاستعانة بكتابات البروفسور الخاصة وكل المنشورات التي جمعها الكاتب طوال فترة تتلمذة على يد البروفيسور خلال سنوات الدراسة للبكالوريوس ثم الماجستير والدكتوراه والكاتب أيضا عضو في مشروع المسح الأثاري والتراثي لمنطقة المحس .

العلامة علي عثمان محمد صالح: صوفي في محراب الآثار السودانية

باحث

أ. إبراهيم الدلال

مستخلص :

يحاول هذا المقال تسليط بعض الضوء من منظور شخصي ، على شخصية البروفيسور علي عثمان محمد صالح، العالم الشهير ، وأستاذ علم الآثار بجامعة الخرطوم ، ومنجزاته الفكرية والاكاديمية. ويطلق المقال على علي عثمان باستحقاق لقب خليفة أساتذته القدامى المشهورين ، وذوي الأقدام الراسخة: وليام آدامز، وبيتر شيني ، وبرايان هيكوك. يركز المقال على نحو خاص ، على شخصية علي عثمان كمريد صوفي ، وكتلميذ وحواري للشيخ السمانى الطريق ، محمد الأمين الخاتم (راجل كركوج) التي تقع على النيل الأزرق على بعد نحو 300 كيلومتراً جنوب الخرطوم. ويحاول المؤلف أن يقيم بعض أوجه الشبه والمقارنة بين منهج علي عثمان كعالم آثار ، وبين مقتضيات حدسه كصوفي. ويخصص المؤلف جزءاً كبيراً من المقال للحديث عن اكتشاف علي عثمان للعاصمة التي بناها عيزانا ملك الحبشة في أرض مملكة مروى ، كما يقدم بعض المعلومات والإفادات حول ما يعتقد امتدادات أثرية لحضارة مروى بغرب السودان ، ظلت غير مكتشفة وغير مدروسة على نحو كافٍ حتى الآن.

كلمات مفتاحية: علي عثمان ، علم الآثار ، التصوف ، مروى ، عيزانا ، آثار الزنكور وجبل الحرازة بشمال كردفان.

Abstract :

This article proposes to shed some light from a personal perspective on the character as well as on the intellectual and academic achievements of Professor Ali Uthman Mohamed Salih, the renowned scholar and professor of archeology at the University

of Khartoum. The article deservedly assigned to him the title of heir to his famous and well established former teachers: William Adams, Peter Cheney and Brayan Haycock. The article lays a remarkable emphasis on the Character of Ali Uthman as a Sufi and a disciple and follower of the late Sammani Shaykh Mohamed El Amin El Khatem, the holy man of Karkoj on the Blue Nile, some 300 kilometres south of Khartoum. The author attempts to draw some similarities between the methodology of Ali Uthman as an archeologist , and his intuition as a mystic. The author dedicates a large portion of the article to Ali Uthman's discovery of the capital of the Ethiopian King: Ezana in Meroe, and also gives some accounts of what he assumes as hitherto unexplored or studied extensions of the Meroitic heritage in Western Sudan.

Key words: Ali Uthman, archeology, Sufi, Meroe, Ezana, Antiquities of Jabal Haraza and Zankor etc.

مقدمة :

أذهل الخواجات ، أثنى عليه أدامز وخلفه تشيني ، واحترمه شارلس بونيه ، وتنبأ له أستاذه هيكوك بمستقبل رائع ، وضعته كامبردج في سجلها الذي يحتوي على 2000 عالم أثروا في القرن العشرين وامتد أثرهم إلى القرن الحادي والعشرين ، جمع بين طاقية الشريف الخاتم وكاب تشيني في محبة لا تعرف الفوارق بين المعاني الإنسانية فهو من خلفاء الشريف الخاتم (راجل كركوج)، وخليفة شيني في آن واحد، وهكذا تكون عظمة الرجال ، من قناديل الليل ومن أحباب الفقراء والمساكين ورجل ذكر بامتياز من رآه بالنهار وحُجب بظاهره ظنه علمانياً يتستر بعلم الآثار وأوابد الحضارات القديمة، كما كان الشيخ محمد محبوب الدوكالي - الولي الكبير - الذي قال عنه أبوبكر العتيق : (وكان يتستر بصناعة الحلواء بمدينة كنو). كان الشيخ الدوكالي عارفاً كبيراً وكان متمكناً من صناعة الكيمياء وفي مقدوره أن يحيل النحاس ذهباً، ولكنه أثر صناعة الحلواء زهداً في الدنيا وسترأ لحاله مع الله ، هو من أرومة قوم أنا أسميهم يواقيت السودان، إنهم المحس - النوبة - والخزرج - والعروبة

- والإفريقية - والحضارة في أسمى معانيها . العمل معه أشبه بالوجد الصوفي الشفيف، وهو رجل صاحب مزايا كاشفة، من أحبه نسبه إلى الكشف الصوفي، ومن لا يحبه يعتبره أرواحي على علاقة بالجن و(النزائل)، وهو بين هذا وذاك إنسان كأروع ما يكون الإنسان . علي عثمان سفر نفيس جمع بين دفتيه تاريخ الحضارة السودانية بكل جمالها وسماحتها من العصور الحجرية، مروراً بكوش الخالدة ومروي الأفق المفتوح على إفريقيا والعالم، إلى رهبانية المسيحية الرائعة المسالمة، إلى إشراق الإسلام الحنيف. هو رجل ممتلئ بروحانية الطبقات التي هي عين روحانية السودان، هذا الوطن العربي الإفريقي ذو المعجونة النادرة. إنه ابن هذا الشعب الإكسيري ذي الكيمياء المتفردة - تربال وعلامة ورجل تكايا ودرويش بطران ، بسيط إلى درجة الطفولة صعب المراقبي إذا جالس كبار العلماء وزاحمهم في آفاق مدارات المعارف العالية .. جمع فأوعى وشرب عصارة المعارف ونفذ إلى الخلاصات فصار على حد قول بدوي الجبل :

وأوجز في قارورة العطر روضة* * وأوجز في كأس الرحيق كروم

إذا جلس بين النوبة وراطنهم صار ملكاً وإذا جالس العرب صار سيدهم تجري في عروقه دماء الشرف النبوي الكريم .. بخبرة الآثار العجوز الذي ينضج الأسئلة على النار الباردة، قرأ الترجمة الصحيحة لنقش عيزانا وتلك كانت ترجمة جمال محمد أحمد (قبالة الخليج) وليس عكس الخليج التي ضللت الباحثين ، وبعد جهد مضن وصل علي عثمان إلى مدينة عيزانا وكان في حالة أقرب إلى الجذب وهو يمدح بالبطانة ، وقد بدأ لتلامذته يهتفون حينما رأوا أطلال المدينة في الوادي السحيق، وكان علي أشبه بدليل لقافلة أشرفت على الهلاك وقد أوردتها مشرعاً مجهولاً في غياهب صحارى التاريخ ، وكان كشف مدينة عيزانا فتحاً أثرياً ودينيّاً وربما كان كشفاً صوفياً لأن الله أعمى عنها عيون الآثاريين على كثرتهم، ولم يطلع عليها جيرانها حتى اكتشفها البروفيسور علي عثمان محمد صالح ، قال لتلامذته وهو يصعد الجبل : (إذا توقف قلبي واصلوا أنتم) وهذا كلام رجل يضحى بحياته من أجل المعرفة، ومن أجل أن يكون السودان في مكانه المرموق بين الأمم. ، وجد رسومات الإبل وسيلة المواصلات في ذلك الزمان، ووجد نجمة داوود التي لمعت في آفاق نجران وغابت في ركاب وادي الضيقة ، ولك أن ترى امتداد الأثر السبائي داخل القارة حتى مدينة إفريقية بتونس التي ترمز إلى اسم إفريقش بن صيفي بن حمير بن سبأ الأكبر الذي سميت على اسمه القارة. وقد أورد المسعودي أن راهباً قبطياً عجوزاً أخبر أحمد بن طولون إن أصل ملوك

النوبة من حمير ، وهذه الواقعة التي أوردتها المسعودي ترجع إلى أكثر من ألف عام فتأمل ولك أن تتأمل أن بعض سكان الجبل الغربي بليبيا يتكلمون لهجة الدناقلة وأن بعض الفولاني يفهمون لهجة البجا وقد فهم سودانيُّ نيلي لهجات الولف والبنبرة القاطنين على ضفاف نهر السنغال. وتوجد كوش في الحوض الشرقي بموريتانيا، ويصنع (الكول) في كوش موريتانيا ، وامتد الأثر النوبي حتى زنجبار ويظهر القاموس النوبي جلياً في السواحيلية وغيرها من اللغات الإفريقية . واكتشاف مدينة عيزانا يحسم الجدل ويعمل على تأكيد فرضيات عبد الله الطيب والفتاح قريب الله حول هجرة الصحابة إلى السودان، وقد قدم العالمان الجليلان حججاً ناصعة ولكن الدليل الآثاري والكشف الذي قام به البروف سيكون جهيزة الخطباء وجهينة الأنبياء وما يبنيك مثل خير. وبحسه الآثاري العالي قال لطلابه وهو يقف على أطلال مدينة عيزانا: (أبحثوا عن الكهوف لأن صورة الإسلام في رؤوس الصحابة المهاجرين هي غار حراء وغار ثور) ، وقد ودع سيدنا عثمان الرسول ﷺ بغار ثور حيث أمره بالهجرة وأن تصحبه السيدة رقية ، وقد وجد البروف كهوفاً عجيبة ووجد صرراً وأسراً ليس هذا وقت إذاعتها ولكل مقام مقال. نشأ الفتى علي عثمان فلاحاً في بساتين النخل وحقول القمح، وكان بقريته مسجداً يغص بالمصلين والعباد وكانت جدته لأمه امرأة صالحة تحفظ القرآن بسبع روايات رغم أميتها وعجمتها وكانت تضيء كالقنديل وكان الفتى الشفاف علي يرى ذلك النور ويسألها مراراً (جدي ألا تحرقك هذه النار؟). تقع شخصية البروفيسور علي العجيبة بين (صفايات) الشيخ سلمان الطوالي وغزليات إسماعيل صاحب الربابة المكشوفة وبين التاريخ النوبي العظيم الذي أشرى المسيحية وأعطى الإسلام ألقاً جديداً ظهرت إشرافاته في السلطنة الزرقاء وفي إسلام الطبقات الذي يمثل الروحانية السودانية في أسْمى تجلياتها .. والشعب النوبي العظيم هو الذي أدخل الإسلام والعروبة إلى السودان طوعاً واختياراً، وهم الوحيدون الذين تصدوا للفتح عنوةً (رماة الحدق) وارتضوه صلحاً (اتفاقية البقط) وبرهنوا في كلتا الحالتين على عنصرهم المذهب ، فالنوبة شعب حضاري لا يقبل العنصرية بأي حال من الأحوال .وأثار الزنكور والحرازة تدل على امتداد مروي داخل السودان وفي عمق القارة الإفريقية ، ففي الحرازة حيث مصاهر الحديد، وجدت سبيكة النحاس التي صنعها الكوشيون قبل آلاف السنين ولم يهتد لها العالم لم تحضر إلا في القرن الثامن عشر ، ووقفت

على أطلال حضارة الزنكور وكنت أمر عليها كما مر عليها الهباتي زويد
وهو يطرد قراناً ثقيلاً من الإبل وهو يردد :

يوم الثانية خطمن حلة الزنكور

ويوم الثالثة حدرن فوق جبال دارفور

ولا تزال خارطة الآثار السودانية مترامية الأطراف وبعض الآثار بكرٌ لم تُفُض أسرارها بعد ولم يقف عليها الآثاريون ، وكنت قد كتبت عن المصورات الغربية في (أبو سفيان) و(تقرو) .. وأخبرني الأستاذ الثبت تكراس الميذوبي أن بشمال دارفور إهرامات ووعدني بالذهبة إليها من أجل التوثيق ، وعرفت منه أن أهلنا الميذوب كانوا يمارسون حجاً وثنياً يقفون في يوم التاسع من ذي الحجة على جبل مخصوص ويفيضون إلى جليل أشبه بالمشعر الحرام وينحرون الخراف ويمارسون الطواف وهذه الطقوس ربما نقلها لهم عرب الجاهلية الذين وفدوا إلى السودان قبل الإسلام، وربما أخذها هذا الشعب النوبي العظيم من مكة مباشرة في عهود سحيقة وفي ذلك مؤشر قوي لعلاقة النوبة القديمة بالحجاز ربما منذ عهد الخليل وإسماعيل .بدأ البروفيسور علي في تقديم سلسلة محاضرات توثق للحضارة السودانية سجلها لوكالة السودان للأنباء وقد (بنت) لنا (سيرة) هذه السلسلة ودعا لها مجموعة من جرائق علماء الآثار الغربيين الذين عملوا بالسودان من أمثال بونيه وجلبونسكي وغيرهم .وقد حدثنا راهب الآثار السودانية شارلس بونيه حديث العارف عن عظمة كرمة وتحديداً (دوگي قيل) (إرم ذات العماد السودانية)، التي لا يوجد لها ضريب أو أي شي يقاس عليه في كل آثار الدنيا، وقد قال بونيه بالحرف الواحد عن تاريخ الحضارة السودانية وهو يتحدث عن هذه المدينة : the greatest history in the world هذا الرجل جدير بالاحترام وقد نعتة العلامة علي عثمان بالرجل العظيم وملك كرمة وهو يستحق هذه النعوت .وسونا إذ تقوم بهذا العمل الجليل، فإنها تدرك أهمية الآثار في تحسين الصورة الذهنية للسودان، وتدرك الجدوى الاقتصادية المؤكدة للسياحة الأثرية . وقد كان البروف علي عثمان (راس القايدة) في موضوع الحوار حول الهوية وقد أبلى بلاءً حسناً في هذا المضمار. والذي أود أن أقوله هو أنَّ الصراعات التي أقعدت السودان، لن تحلها الجيوش، وإنما يحلها العلماء والمثقفون من أمثال البروفيسور علي عثمان محمد صالح. وفي الختام أقول إن

علي عثمان ثروة قومية وكنز معرفي لا يقدر بثمن وهو مؤهل ظاهرياً وباطنياً لقيادة الأعمال النافعة. أطال الله عمره وفي عمره خير كثير للعباد والبلاد.. وأرجو أن يُكرّم هذا العالم الجليل والبحر المتلاطم وفي تكريمه تكريم لكل علماء السودان ووفاء لأرواح الأسلاف الذين أشادوا عظمة تاريخ السودان العظيم.

حديث الذكريات عن عالم الآثار السوداني البروفسور على عثمان محمد صالح

أستاذ الآثار بكلية العلوم الإنسانية
جامعة بحري

أ.د. عبد الرحيم محمد خير

مقدمة:

كانت البداية للعمل الآثاري في السودان المسوحات والتنقيبات ببلاد النوبة (شمال السودان وجنوب مصر) وهي ثلاثة : الأولى (1907-1911م) ، الثانية (1929-1934) والثالثة (1959-1960م) . وشهدت فترة الخمسينات والستينات الماضية تأهيل الكادر الرائد الأول من الآثاريين السودانيين (عبدالرحمن آدم محمد : 1924-1954، ثابت حسن ثابت : 1921-1996م ، نجم الدين محمد شريف : 1938-1994م وأحمد محمد علي الحاكم : 1938-1996م) وركز هؤلاء الرواد أعمالهم في المسوحات والتنقيبات الآثارية بداخل السودان.

أما الجيل الثاني من الباحثين السودانيين في مجال الآثار فقد تخرج معظمهم من جامعة الخرطوم وتعلموا على يدي الرواد الأوائل من الآثاريين السودانيين والأوروبيين في المملكة المتحدة وكندا . ونال بعضهم تأهيله الأكاديمي فوق الجامعي كله في أوروبا (مبارك عبدالله الريح : المانيا وأسامة عبد الرحمن النور : الإتحاد السوفيتي). وعند إنشاء قسم الآثار بجامعة الخرطوم (1965م) ترأسه في البدء بروفيسور بيتر شيني P.Shinnie * . المؤسس للقسم مع البروفيسور مصطفى الأمير (مصري). وخلفه البروفيسور عبد القادر محمود عبد الله (1970-1971م) فالبروفيسور أحمد محمد علي الحاكم (1971-1981م) (رحمهم الله) . وقد قام الأخيران بدور كبير في تأهيل القسم بالجامعة وعاونهما أساتذة غربيون (جون قاوالت ، راندي هالاند ، بيرس كروكر ، إلزا كليب ، رتشارد بيرس ، بول كالو و ف.سكاربروف) وعرب (غانم وحيدة-عراقي) وسودانيون (على عثمان محمد صالح ، العباس سيد أحمد محمد علي ، يوسف مختار الأمين ، خضر عبد الكريم أحمد وإبراهيم موسى محمد) . وتأهلت الدفعة الأولى من الآثاريين السودانيين في الغرب الأوروبي (كمبردج بانجلترا وجنيف بسويسرا) والأمريكي (كالقاري بكندا) .

التأهيل العلمي للبروفيسور علي عثمان محمد صالح :

تلقى تعليمه الابتدائي بموطنه قرية مشيكلا والمرحلة المتوسطة بدلقو المحس بالولاية الشمالية في الخمسينات والستينات المنصرمة . وواصل دراسته للمرحلة الثانوية بمدرسة أم درمان الأهلية الحكومية . ولا يعرف لماذا إختار هذه المدرسة بالعاصمة سيما وأن الإقليم الشمالي توجد به آنذاك مدارس ثانوية تماثلها في العراق (مروى وعطبرة)؟! بيد أنني على رأي مفاده أن مرد ذلك أن علي عثمان كان يعد نفسه أكاديمياً في العاصمة المثلثة بغية لعب دور بارز في الشأن العام للوطن في مقبل الأيام.

كان يقطن مدينة الخرطوم (الديوم الغربية) إبان دراسته بأم درمان الأهلية الثانوية الحكومية . وحدثنا عن ثناء أساتذته على إجتهاده وتوقعهم له بمستقبل واعد في دنيا العلم والمعرفة. وخص بالذكر أستاذ اللغة الإنجليزية بأم درمان الأهلية الثانوية البرت غبريال الذي إرتحل الى دنيا الخلود في الستينات الماضية .

إلتحق علي عثمان محمد صالح بجامعة الخرطوم طالباً في كلية الآداب عام 1965م . وتخرج فيها بمرتبة الشرف الأولى في التاريخ القديم عام 1970م. وتم تعيينه فور التخرج مساعد تدريس بقسم الآثار الناشئ حينها . وسرعان ما التحق بذات القسم زميله العباس سيد أحمد محمد علي بعد فترة وجيزة . وحصل كلاهما على منح لدراسة الماجستير بكندا (جامعة كالقاري). وأشرف على رسالتهما البرفيسور بيرت شيني وكانت رسالة علي عثمان عن «العهد المسيحي في النوبة Christian Nubia» أما زميله العباس سيد أحمد فقد تخصص في دراسات ما قبل التاريخ . وكانت أطروحته عن « العصر الحجري الحديث في السودان "Neolithic in the Sudan" عام 1973م . واصل علي عثمان تأهيله الأكاديمي والتحق بجامعة كمبردج (بريطانيا) وحصل على درجة الدكتوراه من كلية الدراسات الشرقية متخصصاً في آثار العصر الوسيط في السودان عام 1978م . عاد بعدها للسودان أستاذاً مساعداً بقسم الآثار (1978 - 1984م) ، فمشاركاً (1984 - 2000م) . وحصل على مرتبة الأستاذية (Professorship) من جامعة الخرطوم عام 2000م . وواصل بعد ذلك عمله بالقسم حيث قام بتدريس العديد من المقررات عن الآثار السودانية والعربية والأفريقية .

الأبحاث والإشراف والنشر العلمي :

قام بتدريس العديد من المقررات عن الآثار السودانية والعربية والأفريقية .

الأبحاث والإشراف والنشر العلمي:

أجرى الأستاذ على عثمان عشرات البحوث العلمية كما ترأس العديد من مشاريع البحث الآثاري . وكانت البدايات بمشروع جامعة الخرطوم لمنطقة المحس (1995-2013م) ، ترأس مشروع SAP-1 رقم (5) بمدينة Nauri عند الشلال الثالث في أقصى الإقليم الشمالي . وأعقب ذلك ترأسه لمشروع التدريب والبحث العلمي لجامعة الخرطوم بمنطقة جبل أم على في ولاية نهر النيل (2015- وحتى اليوم) .

أشرف على العديد من البحوث الآثارية لدرجتي الماجستير (n=23) والدكتوراة ((n=17) . وشارك بأكثر من (50) بحثاً علمياً في مؤتمرات وورش علمية داخل وخارج السودان . وبذل جهداً غير قليل في تأهيل الكادر السوداني الآثاري وذلك بتوفير منح للدراسة وفرص تدريب لإكتساب الخبرة خارج السودان (جامعات كمبردج ببريطانيا وكالقاري بكندا) .

الخبرات الإدارية :

تقلد الأستاذ على عثمان رئاسة قسم الآثار لثلاث دورات خلال الأعوام 1983-1986م ، 1990-1995م و 1997-2003م . وظل عضواً بمجلس أساتذة جامعة الخرطوم ولا يزال منذ إلتحاقه بالجامعة منذ مطلع السبعينات الماضية وحتى اليوم .

خدمة المجتمع :

قام الأستاذ على عثمان بأدوار مهمة في خدمة المجتمع السوداني في مجال الشأن العام وفي الجانب الأكاديمي والمهني . فهو عضو قيادي بالحزب الإتحادي الديمقراطي . وشارك بفعالية في العمل السياسي خلال العقود الأربعة الفائتة . بيد أننى ساقطر حديثى عن مساهماته العلمية والثقافية التي عرفت عنها عن كتب إبان فترة وجودى طالباً لل بكالوريوس وباحثاً للماجستير في قسم الآثار بجامعة الخرطوم (1972-1983م). وفي مجال العمل الثقافي والإجتماعي العام سواء على المستوى المحلى والإقليمي والدولي فقد تقلد مهاماً

رفيعة منها رئاسة لجنة المؤتمر الدولي للحضارة الأفريقية . إلى القرن الحادي والعشرين (1997-1999م) ، رئاسة اللجنة الثقافية للهيئة السودانية للولايات المتحدة (اليونسكو، اليسكو والإيسيكو) (1997-2008م) كما عمل ممثلاً للسودان في اللجنة الدائمة للثقافة العربية (2000-2004م) ورئيساً لإتحاد الأدباء والكتاب السودانيين للعام 2015م . ويعتبر الأستاذ على عثمان من المثقفين الموسوعيين . ورغد الساحة الثقافية السودانية بالعديد من الكتابات (مجلة الثقافة السودانية في الثمانينات) والمحاضرات والمؤلفات التي ربطت علم الآثار بالثقافة وخدمة المجتمع .

الجوائز والشهادات التقديرية :

حصل الأستاذ على عثمان على جائزة العالم المتميز في برنامج زمالات الصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية (2008م). كما تم تكريمه من كلية الدراسات العليا بجامعة الخرطوم لمساهماته العلمية البارزة. في تأهيل باحثي الدراسات العليا بالجامعة .

خواطر وذكريات :

للأستاذ على عثمان شخصية إجتماعية أسرة ويتمتع بحضور البديهة والمزحة الساخرة المحببة للنفس ، وعلاوة على ذلك ، فهو متواضع ومحبوب من طلابه وزملائه ومعارفه ويطلق عليه تلاميذه الكثر لقباً محبباً إلى نفسه وهو «عمو علي» .

لايتوانى الأستاذ على عثمان في تقديم النصح والإرشاد لطلابه وزملائه بكل أمانة وتجرد في مختلف قضايا العمل الآثاري . وهو دائم التحفيز المعنوي لباحثي الآثار. ومما علق بالذاكرة عبارته التي خصني بها عندما إطلع على بحثي الموسوم «نشوء الدولة السودانية : منظور أركيولوجي - تاريخي» ، (نشر بمجلة دراسات أفريقية- جامعة أفريقيا العالمية - السودان ، العدد رقم 28 بتاريخ ديسمبر 2002م : 42 - 49) : « يا خير هذا مقال استثنائي ومن أجمل ما قرأت لك » . كما أزجى لي التهنئة الحارة بحصولي على جائزة الجدارة العلمية من الإتحاد العام للآثاريين العرب كأفضل باحث عربي في مجال دراسات ما قبل التاريخ للعام 2020م . وإعتبر الحصول على هذه الجائزة إنتصاراً للآثاريين السودانيين قاطبة.

مجمال القول ، إن البروفيسور على عثمان محمد صالح أحد أبرز علماء الآثار على المستوي العربي والأفريقي والعالمي في دراسات آثار العصور

الوسيلة. ولا ريب أن التلمذ عليه والإرتشاف من أرخبيل علمه الثر سواءاً في حلقات الدرس أو من خلال مؤلفاته الجياد هو المنهل الذي استقى منه الكثيرون في مجال الآثار خاصة والإنسانيات عامة . وكان خير معين لهم في مدارج حياتهم العلمية . نسأل الله له كمال الصحة وتمام العافية وأن يمدّه بطول العمر ويجعله ذخراً للعلم والوطن، إنه سميع مجيب الدعاء .

المراجع :

1. رابط ميديا جامعة الخرطوم : [https//www.Faceboc.com](https://www.Faceboc.com)
2. [http.//azharisadig.blogspot.comp/sudanes-archaeologist-page.html.?m=1](http://azharisadig.blogspot.comp/sudanes-archaeologist-page.html.?m=1) مدونة بروفيسور أزهرى مصطفى صادق